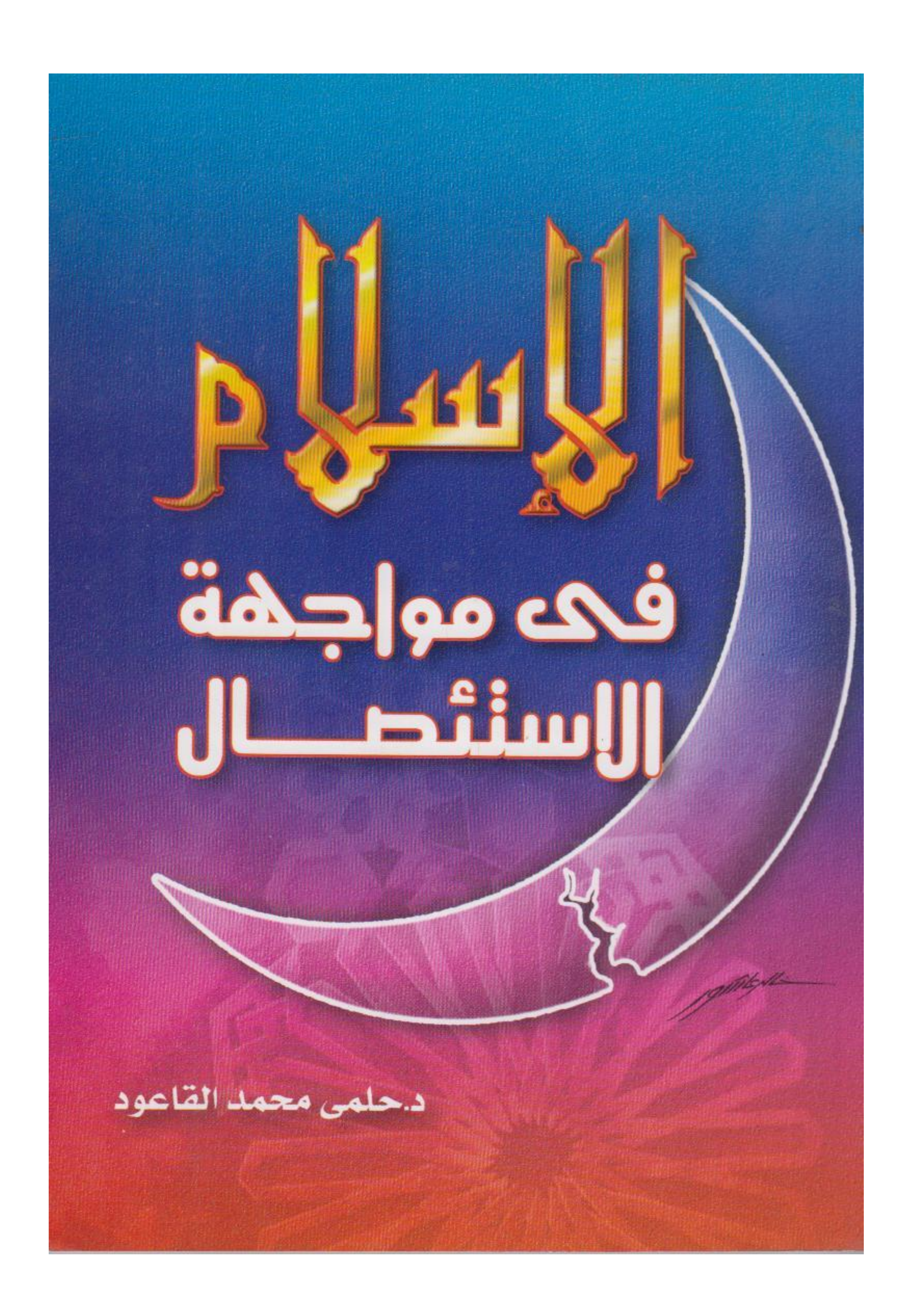
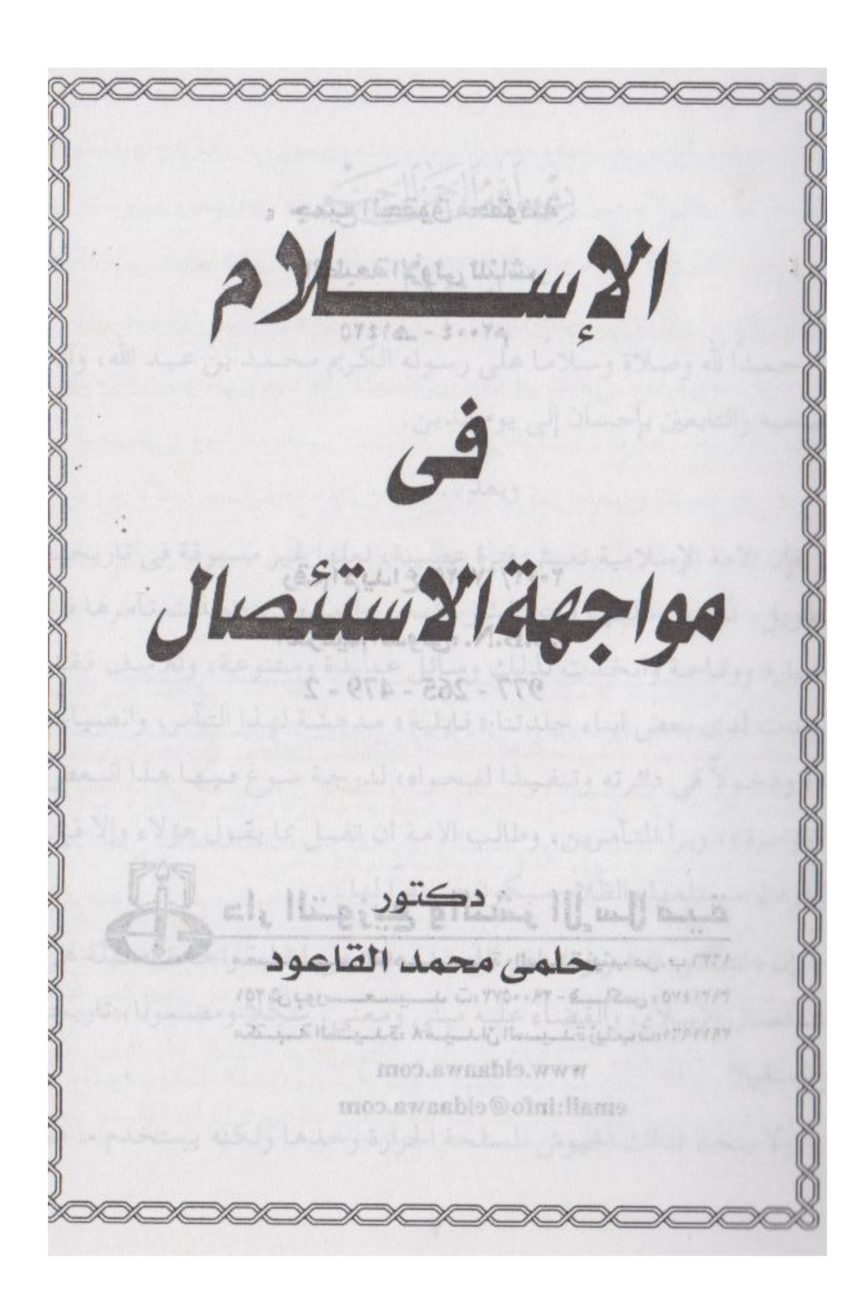

الإسلام
في مواجهة
الاستئصال
د.حلمى محمد القاعود



الإسلام في مواجهة الاستئصال

دكتور

حلمى محمد القاعود

الطبعة الأولى للناشر
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع: ٢٠٠٣/١٧٩٢٩

الترقيم الدولى: .I.S.B.N
977 - 265 - 479 - 2

دار التوزيع والنشر الإسلامية
مصر-القاهرة -السيدة زينب ص. ب ١٦٣٦
٢٥١ ش بورسعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٢ - فاكس: ٣٩٣١٤٧٥
مكتبة السيدة: ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١
www.eldaawa.com
email:info@eldaawa.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

استهلال

حمداً لله وصلاة وسلامًا على رسوله الكريم محمد بن عبد الله، وآله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد........

فإن الأمة الإسلامية تعيش فترة عصيبة، لعلها غير مسبوقة فى تاريخها الطويل، تآمرت عليها قوى الشر والبغى والعدوان، ونفذت تآمرها فى جهارة ووقاحة واتخذت لذلك وسائل عديدة ومتنوعة، وللأسف فقد وجدت لدى بعض أبناء جلدتنا «قابلية» مدهشة لهذا التآمر، وانصياعًا له، ودخولاً فى دائرته وتنفيذا لفحواه، لدرجة سوغ فيها هذا البعض «المؤامرة»، وبرأ المتآمرين، وطالب الأمة أن تقبل بما يقول هؤلاء وإلا فإن الطوفان سيبتلعها والظلام سيكون مستقراً لها.

إن «التآمر» الشرير الباغى المعتدى يسعى لغاية واحدة أصيلة هى استئصال الإسلام، والقضاء عليه مبنى ومعنى، شكلاً ومضمونا، تاريخًا ومستقبلاً.

ولا يتخذ لذلك الجيوش المسلحة الجرارة وحدها ولكنه يستخدم ما هو

أكثر فتكًا وقتلاً، إنه الغزو الهادف لتفريغ الإنسان المسلم من كل شئ؛ من عقيدته وأخلاقه، من قيمه ومثله، من تاريخه وماضيه، من ثروته وطاقته، من صموده وجهاده، من انتمائه والتزامه، من حريته وكيانه، ثم تحويله بعدئذ إلى كيان هش هزيل ذليل، يتبع «المتآمر» ويكون ذيلاً له.

لقد اتخذت عملية التفريغ الآثمة مجالات عديدة لتحقيق غايتها.. منها ما هو سياسى، وما هو اقتصادى، وما هو ثقافى، وما هو فكرى، وما هو ترفيهى، وما هو غير ذلك..... وفى الوقت ذاته يصاحب عملية التفريغ الآثمة عملية «إحلال» أشد إثما وأكثر خطورة تتمثل فى فرض بديل شائه وشرير لا يمكن أن يؤدى إلى تقدم أو أمن أو خير.. بل يكرس التبعية الذليلة، ويرغم على القبول بالدونية والرضا بالهوان..

إن الفصول القصيرة التى يتضمنها هذا الكتاب تعالج من خلال مناسبات معينة معالم استئصال الإسلام فى أوجه حياتنا المختلفة، وتشير بطريقة ما إلى ما يحاول الأعداء التاريخيون وأنصارهم من بنى جلدتنا إحلاله فى واقعنا العقدى والفكرى والثقافى والاقتصادى والاجتماعى والترفيهى.. ثم فرضه علينا بقوة الظروف التى أتاحت لهم صنع القرارات أو التأثير فى الأجيال الجديدة التى لم تتح لها فرصة التعرف على إسلامها وتاريخها وتراثها المضىء.

وسوف يجد القارئ الكريم تناولاً متشعبًا يبدأ من الخطر اليهودى الذى يستأصل الإسلام فى فلسطين وما حولها بتهويد الأرض واستلاب

العقل حتى المحاولات الماكرة التى تسعى لتدمير التعليم فى مصر وتخريب الأزهر الشريف مرورا بالحرب الدامية التى يشعلها المتآمرون فى أرجاء العالم الإسلامى، لاستئصال الإسلام و« تطهيره » من المسلمين كما يريدون.. فضلاً عن محاولات العلمانيين والمتنطعين لتشويه الفكرة الإسلامية وتحويلها إلى حالة دموية شائهة ضد الفطرة وضد الإنسان.

إن كل نقطة فى فصول هذا الكتاب تحتاج إلى معالجات مستفيضة، ولكن غايتى هنا هى القارئ العادى الذى يسعى إلى التعريف المجمل بما يجرى على الساحة الإسلامية من صراع بين قوى البغى المهيمنة، وقوى الإسلام المستضعفة، ولعلى أكون قد وفقت فى تقديم شىء يحمل بعض الفائدة.

وأسال الله سبحانه وتعالى أن يرفع البلاء عن أمتنا، ويهدينا إلى طريق الرشد والصواب، حتى نستعيد زمام المبادرة، ويعيش المسلمون فى أمن ورخاء ينتجون ويبدعون، وقبل ذلك يعبدون ربهم فى عزة المؤمنين وصلابة المجاهدين وشوق الشهداء واطمئنان الصالحين..

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (٣) فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ

كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم (٤) سيهديهم ويصلح بالهم (٥) ويدخلهم الجنة عرفها لهم﴾ [محمد: ١-٦].

وصلى الله وسلم وبارك على نبيه محمد وآله وأصحابه أجمعين.

هذا وبالله التوفيق...

حلمي محمد القاعود

الخطر اليهودى

قبل كلام كثير عن «عناقيد الغضب»[١] اليهودية التى انصبت على شعبنا المسلم فى لبنان، ولست فى حاجة إلى تكرار ما قيل، ولكننا فى حاجة إلى استيعاب درس الخطر اليهودى، وفهمه والاستعداد لمواجهته مستقبلاً، إذا كنا جادين حقًا فى عدم تكراره بهذه الصورة الوحشية البشعة التى فاقت النازية والهمجية فى سلوكها وفكرها وتطبيقاتها.

يلفت النظر على الجانب اليهودى فى مذابحه التى أقامها للشعب اللبنانى المسلم ما يلى:

١- أن المذبحة تحركت تحت لواء التوراة حيث استقت اسمها «عناقيد الغضب» من نصوص توراتية ولم يخجل اليهود من استلهام عقيدتهم وتحكيمها فى سلوكهم مع الأميين - أى العرب - وكانت شراسة القتل للمدنيين من أهل لبنان، تعبيراً عن العقيدة اليهودية وأساطيرها القديمة.

٢- أن الجريمة التى قادها السفاح (بيريز) أثبتت أن الحمائم والصقور فى الدولة اليهودية بفلسطين مجرد تمثيلية رخيصة يضحك بها اليهود على العرب السذج، الذين استسلموا للإرادة اليهودية استسلام «الشجعان» الكامل والشامل، فالمجزرة الأخيرة لا تقل بشاعة عن عملية «سلامة الجليل» التى قادها «شارون» عام ١٩٨٢م.

---

(١) عناقيد الغضب، هى العملية العسكرية الهجومية التى قام بها اليهود ضد شعب لبنان فى عهد حكومة «شيمون بيريز»، وأسفرت عن مذبحة: قانا الشهيرة.

٣- أن السلام بالمفهوم اليهودى هو « سلام القبور » وفق تعبير الإرهابى الهالك « مناحم بيجن » وعبّر عنه صراحة فى كتاب مطبوع ومنشور منذ زمان باللغة العربية (بعد ترجمته) يعلن فيه بالفم الملآن أن السلام الذى تؤمن به العصابات اليهودية هو صمت جميع الجبهات المحيطة بالكيان الصهيونى أى سلام القبور، ويمكن تسميته بلغة مهذبة سلام العبيد وفقًا لرؤية التوراة المتداولة.

٤- أن الولايات المتحدة بوصفها زعيمة العالم الصليبى الاستعمارى قد باركت المجزرة، وأعطت إشارة البدء، وتعهدت بتعويض الأسلحة والذخائر التى تخسرها دولة القتلة، فضلاً عن منع مجلس الأمن من اتخاذ أى قرار يشير ولو من بعيد إلى المجزرة وصانعيها.. ثم الظهور بمظهر الوسيط الذى يدعو إلى وقف إطلاق النار بعد أن حقق اليهود الهدف من حملتهم الدموية. وبعد صمت المدافع توجه « بيريز » إلى واشنطن ليحصد المزيد من الدعم المادى والتكنولوجيا المتطورة والسلاح الأرقى.

٥- أن موقف الدول الصليبية الاستعمارية ودول العالم الثالث التابعة للعالم الصليبى كان مطابقاً لموقف الولايات المتحدة وسعيداً بما يحققه اليهود من إنجازات فريدة فى مجال ذبح المسلمين ومنعهم من دفن شهدائهم الأطفال والنساء والشيوخ.

٦- حقق اليهود أهدافهم كلها، وحصلوا على صك كتابى يمنحهم الحق فى مطاردة حزب الله فى كل مكان، وتحميل لبنان وسورية المسئولية عن كل قذيفة تطلق ضد قواتهم، وإن قال المسئولون العرب غير ذلك.

٧- لم يخسر اليهود قتيلاً واحداً فى الحملة، واستطاعوا أن يقتلوا أكثر من مائتى مسلم معظمهم من الأطفال والنساء، فضلاً عن تهجير ثمانمائة ألف لبنانى من الجنوب وترويع لبنان كله، وتدمير بنيته الأساسية التى تبلغ تكاليف إصلاحها الأولية نحو خمسمائة مليون دولار أمريكى.

أما ما يلفت النظر على الجانب العربى فى مواجهة المذابح فوق الأرض اللبنانية فهو ما يلى:

١- التزمت العواصم العربية رسميًا صمت القبور باستثناء المؤتمر الفاشل لوزراء الخارجية العرب الذى لم يتخذ قراراً ذا طعم، لأن عين الأغلبية على الأقل كانت فى اتجاه واشنطن، وما تقوله السيدة «أولبرايت» والسيد «كريستوفر»[1].

٢- عنصر المقاومة الوحيد بالطبع كان حزب الله الذى اعتمد اعتماداً كليًا على التمويل الإيرانى بصواريخ الكاتيوشا، وكانت معظم طلقاته عديمة الجدوى فى التأثير على شمال فلسطين حيث بنى العدو اليهودى منذ زمن بعيد ملاجئ جيدة للسكان وتعهد جيش الدفاع بإسكات الكاتيوشا.

٣- بعد أن طالت الحملة، وقام العدو اليهودى بمذبحة قانا بدأت بعض العواصم الغربية تتحدث عن العدوان اليهودى بكلمات منتقاة محسوبة تشير فى معظمها إلى المخاطر التى يتعرض لها ما يسمى بالسلام أو بعملية

---

(١) أولبرايت، كانت وزيرة خارجية الولايات المتحدة فى حكومة كلينتون، وكريستوفر كان وزير دفاعها فى ذلك الوقت.

السلام، وضمنًا فإن الكلمات المنتقاة والمحسوبة كانت تشير إلى مصير «الهرولة والمهرولين»(١).

٤- فى الوقت الذى كان صراخ الشرفاء يعلو تنديداً بالنازية اليهودية كان المناضل الكبير «ياسر عرفات» يكافئ القتلة اليهود بإلغاء الميثاق الفلسطينى الذى يشير إلى ضرورة تحرير فلسطين، وفى الوقت ذاته يتابع استئصال الإسلام فى الضفة والقطاع واعتقال قادة حماس والجهاد الإسلامى.. بل إنه ذهب إلى ما لا تحتمله اللحظة واقعيا وخلقيا وادعى المزاح بالخطأ فى اسم رئيس لبنان فقال: حافظ الأسد رئيس لبنان.

٥- سكت كُتّاب السلطة والمبشرون بالسلام اليهودى فى ظل التبعية للعالم الصليبى ولم يتكلموا عن المذابح التى أقامها اليهود للشعب المسلم فى لبنان، بل توقع بعضهم ونادى بضرب السودان عسكريًا فى الوقت الذى كانت فيه المدافع والطائرات والبوارج اليهودية تمطر شعب لبنان بالقذائف المميتة.

٦- أيقن المضللون من أفراد الأمة الذين صدقوا السلام الكاذب بفعل أجهزة الدعاية العربية أن دولة القتلة ليست دولة سلام ولا أمان، وأنها مجرد عصابات تشتهى دماء العرب والمسلمين، بمناسبة وغير مناسبة، وأن ما قاله المخلصون ذات يوم عقب مبادرة السادات عن وحشية اليهود

---

(١) الهرولة والمهرولين - تعبير يشير إلى تهافت الدول العربية للاستسلام أمام الإرادة الصليبية الاستعمارية الأمريكية والصهيونية النازية فى فلسطين.

وخداعهم وكذبهم صحيح مائة بالمائة، لأنه ما قاله القرآن الكريم فى حق اليهود.

٧- فى أثناء المجازر كانت التقارير التى تسربها الجهات اليهودية والصليبية عن عمد تتحدث عن مخطط يستهدف مصر من ناحية الجنوب يشارك فيه الصليبيون المتعصبون الخونة: جون قرنق، ويورى موسيفينى، وأسياس افورقى، بشن حرب شاملة ضد السودان وتمزيقها والاستيلاء على منابع نهر النيل، ومدخل البحر الأحمر، وقد تحدثت التقارير عن نشر قوات تابعة لما يسمى جيش التحرير السودانى والجيش الأوغندى والجيش الإريترى، على حدود السودان، مع كلام عن تدريبات عسكرية بقيادة ضباط أمريكيين وصفقات سلاح توردها الصين وكوريا وأطراف أخرى.

من خلال النقاط السابقة، فإنه يتبين أن المقصود ليس السلام مع العرب وإنما الحرب ضدهم، وبما أن العرب جميعًا لا يقدرون على خوض الحرب ضد اليهود أو أن مصر أضعف من مواجهة دولة القتلة - كما ذكر ذلك نائب فى مجلس الشعب - فإن الواجب يحتم على مصر قبل العرب أن تضع فى اعتبارها ما يلى:

١- ضرورة ترتيب البيت من الداخل سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا، بحيث تهيئ الشعب للصمود والمقاومة فى حالة شن عدوان يهودى محتمل يهيئ لقيام مملكة داود.

إن الحوار السياسى بين السلطة والقوى السياسية المختلفة بات مسألة ضرورية للوصول إلى الأولويات التى ينبغى التوحد عندها.

٢- لم يعد من الممكن الوثوق فى الغرب الصليبى والولايات المتحدة خاصة، وهو ما يعنى مراجعة العلاقات مع الغرب، وطرح البدائل الممكنة وفقًا لأسس علمية بحيث لا تقع تحت رحمة حكومات العالم الصليبى الاستعمارى.

٣- إن إقامة السلام اليهودى مقابل استئصال الإسلام أمر مستحيل وغير مقبول على جميع المستويات، ومن ثم يجب على الحكومات التى أخذت على عاتقها عملية الاستئصال تحت مسميات من قبيل: تجفيف المنابع، أو الاستئصال أو مكافحة الإرهاب، أو التنوير، أن تفهم أن الإسلام عميق فى أغوار النفس العربية، وأن استئصاله مستحيل، وأن من الأجدى التصالح معه بما يحقق الخير للجميع.

٤- لم يعد مقبولاً أن تكون لغة الخطاب مع العدو اليهودى رقيقة منتقاة، ومع بعضنا البعض دولاً أو شعوبًا أو سلطة وشعوبًا مليئة بالفظاظة والقسوة والتشهير والانتقام. إن التسامح أوجب ما يكون فى هذه الظروف، فالشعوب تقف مع حكوماتها إذا صارحتها الأخيرة بالحقائق دون لف أو دوران.

٥- على النخبة التى أساءت إلى الشعوب وتاريخها ودينها أن تراجع مواقفها، وتكف عن تجميل الوجه القبيح لليهود فى فلسطين سواء

بكتاباتها أو بقراراتها أو بفتاويها التى لا تستند إلى صحيح الإسلام، وحبذا لو التزمت هذه النخبة بالصمت طالما لا تستطيع أن تقدم الحقيقة، والشعوب بفطرتها تستكشف الخطأ من الصواب.

فى مواجهة الخطر اليهودى، وكل خطر يجب أن تتوحد الأمة أفرادًا وشعوبًا وحكومات، وإلا فإن الطوفان سيكتسح الجميع، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.. وما درس الأندلس ببعيد.

من ثقافة الاسترخاء.. إلى ثقافة المبادأة

عندما درسنا العبرية فى دار العلوم، لم أنتبه إلى أن أول فعل تعلمناه كان الفعل «قتل» ومشتقاته، مع إسناده إلى الضمائر المختلفة، تصورت أنه مجرد فعل يوضح عملية الاشتقاق وحالات الإسناد ليس إلا.. بعد أن دخلنا معمعة الأحداث والصدام مع الكيان الجديد المزروع فى أرض فلسطين الذى أذاقنا هزيمة ١٩٦٧م وكان لابد من التعرف على جوانب النشاط والحركة فى داخله، اكتشفت أن أول فعل يتعلمه الطفل اليهودى هو «قتل» أيضا، بينما نظيره المصرى يدرس الفعل «زرع» وعرفت أن الذين درّسوا لنا العبرية كانوا تابعين للمنهج اليهودى فى تعاليمهم ولم يكن لهم خيار فيما يبدو لتعليم فعل آخر غير «قتل».

كتب الأطفال فى الكيان المزروع عبارة عن مادة مسلية للغاية، لأن البطل اليهودى فيها ينتصر دائما على العربى المسلم الذى تصوره هذه الكتب بأبشع الصور، وليس أبشعها الجبن والقذارة والحيوانية.

وأما المدارس الدينية هناك ولها هيمنة عظمى على أغلبية الطلاب والجمهور والسلطة، فتؤكد على حق اليهود فى مملكة داود من النيل إلى الفرات، وحتمية الانتصار اليهودى على العرب «الأجلاف» فى وقت ما، وتنظيف المملكة من وجودهم.

السياسيون بدأوا من – جابوتنسكى.. حتى شيمون بيريز – يؤمنون

بمنهج واحد اسمه «القوة»، ولا شئ غير القوة، وفقًا لنصوص التوراة المتداولة حتى يصير أعداء اليهود عبيداً لهم.

- جابوتنسكى.. تحدث عن ضرورة لبس الأحذية الثقيلة بالنسبة لليهود، كناية عن الاستعداد الدائم للقتال.

- بن جوريون.. آمن بالقوة لإرغام الأعداء «العرب» على الرحيل من فلسطين بل آمن بقتل بعض اليهود ليكون ذلك خطوة لقتل العرب وشن الحرب ضدهم وتحقيق مكاسب على الأرض.

- مناحم بيجن.. فى كتابه «التمرد» آمن أن السلام الوحيد المسموح به للعرب هو «سلام القبور» وهو مرادف لسلام العبيد الذى أشارت إليه التوراة.

- إسحق رابين.. لم يخافت عندما تحدث عن تكسير عظام الفلسطينيين المدنيين كى ينهى الانتفاضة.

- شيمون بيريز.. قتل أهل قانا المدنيين ليكون ذلك عبرة لأطراف كثيرة.

ثقافة القتل هى المهيمنة على العقل اليهودى المقيم فى فلسطين، وهذه الثقافة تعبر عن نفسها بوضوح على موائد التفاوض منذ حادثة الهدنة ١٩٤٩م حتى اليوم، إلى الغد، مالم تتغير الثقافة على الجانب الآخر.

ثقافة القتل تمتد إلى العالم، حيث تتم تصفية من يتصدى للإرادة

اليهودية الآثمة، فالمفكرون والسياسيون ورجال المال والاقتصاد والفنون وغيرهم من الذين يخالفون هذه الإرادة أو يشككون فى دوافعها وغاياتها، تتم تصفيتهم جسديًا أو معنويًا، وأقرب الأمثلة - جارودى، والأب بيار، ومارلون براندو - الأول شكك فى عدد ضحايا النازية، والثانى وقف إلى جانب الأول فكان مصيرهما التقديم إلى المحاكمة، لم يستطع - جارودى -أن ينشر توضيحًا أو ردًا فى أى صحيفة أو مجلة أما - الأب بيار - فقد هرب إلى الجبال ليعيش فى منزل بعيد عن الملاحقة، والثالث كان قد صرح فى برنامج «لارى كنج» فى السى إن إن، بأن اليهود يسيطرون على هوليود وصناعة السينما، فأنذرته المنظمات اليهودية بتحويل حياته إلى جحيم، وما هى إلا أيام ثلاثة حتى ذهب - براندو - إلى أحد الحاخامات ليعلن ندمه على ما قال.

الاستثناءات التى ترفض ثقافة القتل بين اليهود قليلة وتثبت القاعدة.. ماذا يجرى فى المقابل عندنا؟

لقد انتهز البعض فرصة الكلمات الحالمة عن السلام والرخاء وآخر الحروب وتوقيع اتفاقيات مجحفة بنا وقام بتزييف الوعى وتسطيحه بالدعوة إلى الاسترخاء والتسليم بأن العدو قد تحول إلى صديق، وأن الواجب يحتم فتح كل الأبواب والنوافذ كى نثبت حسن النوايا ويرضى عنا العالم، وتجاوزت الأمور إلى حد تغيير مناهج التعليم وأساليب الدعاية فضلاً عن الوقوف بقسوة ضد الأصوات العاقلة التى كانت تحذر وتنبه وتطالب بالموضوعية والاتزان.

وكان الحصاد كما رأينا وسمعنا وعرفنا مريرًا وفاجعًا ومهينًا، وخاصة فى قـتل المدنيين من أهل الجنوب اللبنانى، وتجـويع الفلسطينيين ومحاصرتهم واستئصال منظمات المقاومة الفعالة ووصمها بالإرهاب.

إن ثقافة القتل تفرض علينا رفض ثقافة الاسترخاء هذه، وتهيئة الذهن العربى العام للدفاع عن نفسه والحفاظ على مقاومته، وذلك بالانتقال إلى ثقافة المبادأة التى تضع الأمور فى نصابها الصحيح، حيث بات من المحزن أن نجد جيلاً جديداً لا يعرف شيئًا عن نفسه ولا عن واقعه ولا عما يجرى من حوله، وقد رأيت قبل فترة برنامجًا شعبيًا فى التليفزيون يسأل الجمهور عن موقع الروضة الشريفة وقبة الصخرة، وكانت الإجابات مثيرة للقهر والأسى.

فى الوقت ذاته كان المجتمع الذى تربى على ثقافة القتل ينتشى بقتل اللبنانيين ويفخر بمحاربيه العسكريين، ويؤكد على طبيعته وهى طبيعة مقاتلة لا تستثنى إلا عدداً قليلاً.

إن واجبنا يحتم علينا التحول إلى ثقافة المبادأة من خلال أساسين مهمين، الأول: إعادة التربية الدينية «إسلامية ومسيحية» إلى التعليم العام الجامعى بصورة حقيقية، والثانى: دراسة التاريخ الإسلامى وجذور الصراع مع المناوئين للأمة بصورة فاعلة وذلك سيحقق من وجهة نظرى أكثر من هدف:

١- تعميق الوعى بالهوية الإسلامية وعناصرها الإيجابية، لمواجهة

الأخطار المحدقة بالأمة، وخاصة من جانب الكيان اليهودى المحارب الذى يهدد الجميع ويفرض عليهم « سلام القبور ».

٢- محاربة الأفكار الخاطئة والمفاهيم المغلوطة عن الدين، التى تروج فى جو التسطيح والتزييف.

٣- تهيئة المناخ الصالح للتفاهم الاجتماعى فى الدول العربية والإسلامية، إرساء لأسس الاستقرار، وتوجيه الطاقات نحو مواجهة الاحتمالات التى يفرضها الطامعون.

إن الوعى بالذات وبالآخر، يبعد الأمة عن وضع الغافل الغر، ويؤمنها ضد الغارات الثقافية ومنها ثقافة القتل وتجلياتها الدامية.

مرحبا بهذا الغباء !

وصف كاتب سلطة – كان شاعراً فى يوم ما – الذين يصفون اليهود القتلة فى فلسطين باليهود بأنهم أغبياء، لأنهم لا يفرقون بين اليهودية والصهيونية. والرجل فيما يبدو تذكر أخيراً أن هناك دولة ظالمة تحتل فلسطين وتخرب ما حول فلسطين من دول وكيانات وتسعى فى الأرض فساداً، وهذا أمر محمود على كل حال، فالرجل كثير التحولات.. بدأ فى الإخوان المسلمين ثم تحول إلى الشيوعية فالناصرية حتى استقر مع حزب البعث العراقى منذ قام «أحمد حسن البكر» بانقلابه برفقة «صدام حسين التكريتى».

ويقال – والعهدة على الرواة – إنه نال مكافأة على ذلك تمثلت فى منح بعض أقاربه بعثه لدراسة الموسيقى فى باريس، وكان الرئيس السادات – يرحمه الله – فى تلك الفترة قد أقدم على مبادرة الصلح مع اليهود، فخرج صاحبنا مع قريبه إلى فرنسا للعمل هناك.. وقيل بعدئذ إن الرجل يعارض الرئيس، وعاش طيراً مهاجراً فى عاصمة النور والموضة كما يسمونها.. ولكن الصحف المصرية فى أواخر عهد الرئيس السادات نشرت خبر استقباله للرجل فى استراحة القناطر الخيرية، وبعد انتهاء مهمة القريب المبعوث عاد الرجل إلى مصر مع قريبه، وتولى رئاسة تحرير بعض المطبوعات الثقافية، وصار مقرباً من السلطة بصورة ملحوظة، حتى قيل إنه يسعى لاستلام وزارة تهتم بصناعة الرؤوس والنفوس، وفى الوقت نفسه احتل

مساحة كبيرة فى صحيفة يومية مرموقة، سخرها لمواجهة الإسلام وقيمه والتحريض على علماء المسلمين والحركة الإسلامية. ولست مع الذين يفسرون تحولات الرجل، ووقوفه ضد عقيدة الأمة وشريعتها، وهو ما يعنى بالتالى: وقوفه ضد حرية الناس وإراداتهم وكرامتهم، لعدم حصوله على مؤهل عال، وإحساسه بالقصور والأسى عندما يتذكر ماضيه وهو معلم فى المرحلة الابتدائية.. لست معهم فى التفسير، فكثير من عظماء الأدب والفكر فى العصر الحديث لا يحملون شهادة عالية، بل إن العقاد والرافعى - رحمهما الله - لا يحملان غير الشهادة الابتدائية، ومع ذلك فقد ملآ الدنيا وشغلا الناس، ومازالت كتبهما وأفكارهما وأساليبهما محل دراسة واهتمام حتى يومنا هذا، وربما إلى أمد بعيد.

والمسألة فى النهاية ترجع إلى عمق ثقافة الشخص وكثرة اطلاعه ومدى إيمانه بحق الأمة فى الحرية والشورى والمساواة والعدل والكرامة، وقبل ذلك وبعده حقها فى الاحتفاظ بهويتها الحضارية والتعبير عنها دون حساسية أو قيود.

وقد كان العقاد والرافعى على مستوى المسئولية تجاه أمتهما وحضارتها وتراثها وحلمها الجميل بالمستقبل المامول، وهو ما نفتقده لدى صاحبنا الذى سخر قلمه للزراية بالأمة ومن يدافعون عنها والسخرية من إرثها ومفاهيمها، ثم تطوع مؤخراً بوصف الذين لا يفرقون بين اليهودية والصهيونية بالغباء.

ولو أن صاحبنا نظر إلى أرض الواقع بعينيه الاثنتين، ثم قارن ذلك بما

ورد فى القرآن الكريم وأحداث السيرة النبوية والتاريخ الإسلامى لعرف أن الفرق المزعوم لا وجود له، وأن لفظة الصهيونية هى من صميم اليهودية وليست بديلاً سياسيًا لها مهما تفلسف المتفلسفون، وكتب الكاتبون، الصهيونية نبت يهودى صميم ينتسب إلى جبل صهيون فى القدس بفلسطين المحتلة، ولو رجع صاحبنا إلى أى دائرة معارف أو قاموس تاريخى لعرف أن الصهيونية تهدف إلى قيام دولة يهودية على غرار الدولة القديمة التى قضت عليها روما وتحقيق ما يسمى بمملكة داود من النيل إلى الفرات.

لا فارق بين الصهيونية واليهودية إلا فى هذا الفارق المتمثل بين الرأس والجسم، والمقدمة والمؤخرة، إن الكيان واحد، والهدف واحد بين الذين احتلوا فلسطين وطردوا شعبها وقتلوا منه الكثير، والذين يمولون المحتلين القتلة ويدافعون عنهم أمام الدول التى يعيشون فيها.

سيقولون إن هناك يهودًا لا يؤيدون الصهيونية، ولا يؤيدون الكيان الإجرامى فى فلسطين المحتلة، وهذا قد يكون صحيحًا.. ولكن كم عددهم؟ وما مدى تأثيرهم؟ إنهم قلة قليلة لا تأثير لها ولا قيمة. ومن المفارقات أن هذه الأقلية لا توافق على عودة الفلسطينيين إلى ديارهم ولا قيام دولة فلسطينية، ولا إعادة القدس إلى أصحابها العرب.

فما الذى تبقى لنجعل الفارق بين الصهيونية واليهودية سببًا لوصم الناس بالغباء؟

ما أكثر الآيات الكريمة فى القرآن الكريم التى تصف اليهود وتتحدث عنهم حديثًا لا يجعل الفارق بينهم وبين الصهاينة ذا معنى أو ذا قيمة .

(انظر على سبيل المثال الآيات ٤٠ - ١٢٣ فى سورة البقرة، والآيات ٤٤ - ٨٢ فى سورة المائدة).

وصدق الله إذ يقول: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ [المائدة: ٨٢].

فالعداوة الأشد للمسلمين والعرب والناس جميعًا تأتى من قبل اليهود ولاحظ الفعل «لتجدن» الذى يفيد الحال والاستمرار مع توكيده باللام ونون التوكيد الثقيلة، مما يعنى أن عداوتهم حقيقية مرتبطة بفطرتهم الفاسدة وطبيعتهم الخسيسة ونفسيتهم الشريرة.

لقد كتب أحد الأفاقين ذات يوم ينقض الآية الكريمة السابقة، ليدلل على أن اليهود ليسو أشد عداوة للذين آمنوا، ويضرب أمثلة بما فعله الاستعماريون والصليبيون، وهو شديد العداوة بالفعل ليؤكد أن هؤلاء يخرجون عن الآية الكريمة.

ونسى الأفاق الكريه أن الاستعماريين والصليبيين يدخلون تحت مصطلح الذين أشركوا حقيقة لا مجازاً، لأنهم لا يؤمنون بالتوحيد الخالص.

إن اتهام الآخرين بالغباء اتهام جميل إذا كان السبب اليهود القتلة ويرحب به الأغبياء الذين يكشفون اليهود المجرمين السفاحين ويقبلون من

الكاتب السلطوى - الذى كان شاعراً فى يوم ما - أن يتذكر أن هناك وطناً سرقه اللصوص اليهود أو الصهاينة كى لا يغضب - وجلبوا له أتباعهم من شذاذ الآفاق، وبنوا فيه جيشاً من القتلة مزودين بالأسلحة الفتاكة والدعم الصليبى العالمى. وتناول القضية الفلسطينية خير على كل حال من مهاجمة الإسلام وقيمه وعلمائه وأنصاره.

وغداً - وما أدنى «غداً» - سنعلم إن كان تحول كاتب السلطة لوجه الله أو لوجه....

واسلمى يا مصر.

ملكة الجمال الإرهابية

الطبيعة اليهودية طبيعة نكدة، كما أخبرنا القرآن الكريم، ومن خصائصها البحث عن الشر وإشعاله فى كل مكان تحل به.

لا تتردد فى إحراق العالم الكبير إذا أتيح لها ذلك، كما تحرق العوالم الصغيرة التى تحل بها، أو تقترب منها، وهو ما يدفع المحترقين بنار الشر إلى رد فعل يتجاوز الحدود والأعراف، أو يكتفى بالقصاص العادل، تأمل ما فعله بهم الرومان ونبوخذنصر، وأوروبا وخاصة هتلر... الرسول ﷺ، وحده هو الذى عاقبهم عقابًا عادلاً نتيجة لغدرهم وخيانتهم.. ومع ذلك يصفون الإسلام والمسلمين بالإرهاب، وانطلت الحيلة على العرب والعالم، فقد صرنا نحن الإرهابيين ، مع أننا نتوسل ونتسول أن يسالمونا ويقبلونا جيرانا طيبين، ولكنهم يرفضون ويواصلون قصف لبنان بالطائرات والمدافع والصواريخ، ويكسرون عظام الفلسطينيين ويحاصرونهم ويقاطعونهم اقتصاديًا ويفرضون عليهم شروطهم الدموية والمذلة والمهينة، ويهددون سورية[1] والعرب والمسلمين، ومع ذلك لا يتحدث عن إرهابهم أحد – أقصد من الحكومات العربية أو الغربية على السواء –.

---

(١) قامت الولايات المتحدة زعيمة العالم الصليبى الاستعمارى نيابة عن الكيان النازى اليهودى الاستعمارى فى فلسطين بضرب العراق واحتلاله وإسقاط بغداد فى مارس / إبريل ٢٠٠٣م ومازالت قواتها فوق تراب الرافدين حتى كتابة هذه السطور.

أطرف ما نقلته الأنباء مؤخراً هو فوز فتاة يهودية من كيان الاحتلال اليهودى فى فلسطين بلقب ملكة جمال العالم، فى المسابقة التى أقيمت فى جزيرة «سيشل» . . والطرافة ليست فى فوز «لينور أبارجيل» اليهودية باللقب الذى يصنعه عادة عتاة اليهود فى العالم من وراء مؤسسات وأجهزة تبدو فنية أو ترفيهية فى الظاهر، إجرامية استغلالية فى الباطن، ولكن الطرافة تكمن فى تصريحات - لينور أبارجيل - التى تعبر عن إرهابية الكيان اليهودى ودمويته وبحثه عن الشر، فقد قالت عقب الفوز إنها ستطلب من جيش الدفاع اليهودى تأجيل تجنيدها فى صفوفه، الذى حان موعده وقت إجراء المسابقة، مما يعنى أن الآنسة الجميلة اللطيفة الناعمة عضو فعال فى جهاز الإرهاب الرسمى العلنى - أعنى جيش الدفاع اليهودى - وهو ما يعنى أن المجتمع اليهودى فى فلسطين المحتلة هو مجتمع إرهابى رجالاً ونساءً وأطفالاً باستثناء من هم دون سن الرابعة الذين لم يتم تلقينهم بعد، أن العربى جبان وقذر ولص ويجب قتله والقضاء عليه وتنظيف المجتمع منه، كما يفعلون فى المدارس والحضانات اليهودية.

إن المجتمع اليهودى فى فلسطين المحتلة، لا يوجد فيه مدنيون وعسكريون مثل بقية المجتمعات الإنسانية، ولكنه مجتمع إرهابى فى مجموعه حيث ترتفع سن الاحتياط للمواطنين إلى الثامنة والخمسين. . وحيث لا يبقى أحد يذكر خارج نطاق المؤسسة الإرهابية اليهودية!،

ملكة الجمال الإرهابية اليهودية لم تكتف بتصريحها عن تأجيل انتمائها للجيش الدفاعى الإرهابى،ولكنها أسهمت فى إرهاب مصر معنويا وفى مناسبة تتطلع إليها عيون العالم- أعنى مسابقة اختيار ملكة الجمال - وزعمت أن شخصا مصريا اغتصبها بعد أن خدعها فى ميلانو بإيطاليا وأثار ذلك الحادث حزن رئيس مهرجان المسابقة !

وأفلحت الإرهابية الجميلة فى تشويه صورة المصريين وجعلتهم متوحشين يفترسون الرقة والجمال.. وبعد نجاح - لينور- فى دعايتها السوداء،اكتشف بعض الناس أن المصرى الذى زعمت أنه اغتصبها يهودى مثلها اسمه «أوريش لا» من مواليد القاهرة!

ومشكلة بعض العرب والمسلمين أنهم يصدقون الدعاية اليهودية المجرمة،ويرون أن الإرهاب هو ما تقوم به المنظمات الفلسطينية المجاهدة وحزب الله ضد الاحتلال اليهودى الإجرامى، وإذا حاولوا أن يكونوا موضوعيين وعادلين،قالوا إن التطرف والإرهاب على الجانبين،وأن ذلك يعطل عملية السلام التى يسعون إلى تحقيقها.

لا شك أن الرؤية فى زمن الاحتلال والقهر غائمة، خاصة لدى الأجيال الجديدة،ولو عرفوا ما نعانيه داخليا وخارجيا لعرفوا أن اليهود ومعهم الغرب الصليبى الاستعمارى من وراء مآسينا،وأنهم استغلوا نقاط الضعف لدى بعضنا استغلالا أمثل واستثمروها استثمارا جيدا،لدرجة أن هذا البعض صار يقوم بالوكالة، سواء كان يدرى أو لا يدرى بتحقيق أمانى

اليهود أو الغرب تحقيقا مثاليا ويوفر عليهم عناء العمل والإنفاق لتحقيقه!

.. لقد نفذوا ما أرادوا بالإرهاب العلنى أو المستتر ويكفى أن نعلم أن أجهزة الأمن اليهودية الداخلية والخارجية (أمان - شين بيت - الموساد)، تعد من أعتى أجهزة الإرهاب وصناعته فى العالم، فكم قتلوا وتآمروا ومولوا عمليات إرهابية، يشهد بها التاريخ القريب والبعيد، منذ إنشاء دولتهم الإرهابية، أما ما قبل إنشاء الدولة الإرهابية فحدث ولا حرج عن منظمات القتل وأشهرها: الأرجون زفاى لومى، والهاجاناة، وقد خرَّجت لنا عتاة الإرهاب والإجرام، من أمثال - جابو تنسكى ووايزمان وبن جوريون ومائير وليفى أشكول وشرتوك وبيجن ورابين وبيريز وشارون وباراك وإيتان وشامير وموردخاى هود... - وغيرهم فى القائمة الطويلة.

ومع ذلك فلم تطالب دولة عربية بعدُ جهاز « الموساد » مثلاً جهازاً إرهابيا ولكنها تتحدث عن إرهاب حماس والجهاد الإسلامى وحزب الله، الذى يعطل اتفاقات السلام التى يوقعها الأشاوس والنشامى من رجال السلطة الفلسطينية مع عتاة الإجرام اليهودى.

ان ملكة جمال العالم اليهودية الإرهابية، يجب أن تعيد إلى بعضنا وعيه المفقود، بأن الإرهاب صناعة يهودية نقية، وأن ما يحدث فى بعض البلدان العربية إنتاج يهودى، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، والأولى ونحن نسعى إلى استئصال الإرهاب عندنا، أن نستأصله من منبعه.. من فلسطين المحتلة كى نعيش فى أمان، كما كنا قبل أن يحتلها شذاذ الآفاق، وقبل أن يلوثوا بوجودهم الأرض المقدسة والقدس العتيقة.

لن أتكلم بالطبع عن المخابرات المركزية الأمريكية، التى صارت شريكًا أساسيا فى اتفاقيات الاستسلام لليهود، وصار لها مندوبون يحضرون رسميًا اجتماعات اليهود والفلسطينيين، فتاريخ هذه المخابرات فى صناعة الإرهاب على كل المستويات أوضح من أن يقال، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

القدس عاصمة واحدة لفلسطين

عبرت دول الاتحاد الأوروبى عن رفضها للتوجه اليهودى إلى عدّ القدس عاصمة للدولة العبرية، أبدية وموحدة، واليهود يسمون القدس أورشليم، ويتعاملون مع العالم على أساس أنها صارت عاصمتهم، يستقبلون فيها رؤساء الدول، وينعقد على أرضها مجلس وزرائهم، ويقومون بتهويدها على قدم وساق من خلال إقامة المستعمرات التى تطوقها، وحصار أهلها العرب لمغادرتها، وعدم السماح لمن تركوها تحت ظروف شتى بعدم العودة إليها، وشراء البيوت والعقارات من أهلها بأغلى الأثمان إغراء لهم على بيعها فضلاً عن جعلها حقلاً للتنقيب والحفريات، وخاصة تحت المسجد الأقصى المبارك، بحجة البحث عن آثار يهودية منذ كان لليهود وجود قبل أربعة آلاف عام.

كانت القدس عام ١٩٦٧م تنقسم إلى شطرين: الأول عربى تحت الحكم الأردنى، والثانى يهيمن عليه اليهود، ويفصل بين الشطرين بوابة مندلبوم- يمر منها المواطنون من الشرق إلى الغرب أو العكس، بعد الهزيمة فى يونيو ١٩٦٧م، ضمت الحكومة اليهودية الشطر الشرقى إلى الغربى، ثم أعلنت فى وقت لاحق أنها عاصمة موحدة لليهود فى فلسطين المحتلة وأرجاء العالم، ولكن قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن ضمناً، حذرت اليهود من ضم القدس الشرقية العربية، ولم تعترف بما فعلوه،

ورفضت عمليات الاستعمار أو إقامة المستعمرات فى القدس أو الأرض المحتلة عموماً.

بيد أن ذهاب الرئيس السادات - رحمه الله - إلى القدس عام ١٩٧٧م حقق نصراً لليهود الذين عدُّوا الزيارة اعترافًا بسيطرتهم على القدس مع أنه سجل فى الرسائل المتبادلة بينه وبين الإرهابى الهالك - مناحم بيجن - أن مصر لا تعترف بسيادة اليهود على القدس، وأنها جزء من الأرض المحتلة فى حرب ١٩٦٧م، وقد ألحقت هذه الرسائل بوثائق كامب ديفيد، مع رسائل بيجن التى تؤكد على السيادة اليهودية على القدس، بوصفها كما يدعى أرض الأجداد.

ثم جاءت اتفاقيات أوسلو التى تمت فى سرية تامة بين اليهود ورجال منظمة التحرير الفلسطينية لتشجيع اليهود أكثر على التمسك بالقدس والتقدم خطوة أبعد فى إخراجها من دائرة التفاوض بين الفلسطينيين واليهود للبحث عما يسمى بالحل الدائم والسلام الشامل.

ولم تسمح للعرب المقيمين فيها بالمشاركة فى انتخابات الحكم الذاتى الفلسطينى مثل إخوانهم المقيمين فى الضفة الغربية وقطاع غزة.. وبعد تدخل الولايات المتحدة شارك الفلسطينيون المقيمون فى القدس بإرسال بطاقاتهم الانتخابية عبر صناديق البريد إلى أريحا حيث مقر الحكم الذاتى الفلسطينى.

ثم أخذ اليهود على عاتقهم ملاحقة المؤسسات الفلسطينية الفعالة فى القدس العربية، فأغلقوا الكثير منها، وحاصروا ما تبقى، وفرضوا قيوداً

على مقابلات الأجانب بالفلسطينيين فى « بيت الشرق »[1] الذى يعد رمزًا لحكومة فلسطين يمثلها « فيصل الحسينى »[2] وقد تعرض بيت الشرق للإغلاق على يد الحكومة اليهودية الحالية (الليكود) وتم منع أكثر من مسئول غربى من دخوله. وتمادت قوة الاحتلال اليهودى فى استهانتها بالعرب والمسلمين فى ظل السفاح « أريل شارون » وزير خارجية العدو[3]، فطلبت من دول العالم الاعتراف بالقدس عاصمة موحدة وأبدية للكيان اليهودى ويهود العالم، وعدم مقابلة أى فلسطينى فى بيت الشرق.

وحين أعلنت أوروبا رأيها القاضى بتدويل القدس فإن اليهود هاجوا وماجوا، واجتمع مجلس وزرائهم ليقرر فى تبجح واستهانة بالعرب والمسلمين إصراره على توحيد القدس عاصمة لليهود، ورفض ما قالته أوروبا.

لوحظ أن العرب والمسلمين لم يشيروا إلى الموضوع بكلمة وصمتوا صمت القبور، وكأن الموضوع لا يعنيهم، باستثناء بيان هزيل أصدرته سلطة الحكم الذاتى الفلسطينى.

---

(١) تم إغلاق « بيت الشرق » نهائيًا بعد أن تولى السفاح « شارون » الحكم عام ٢٠٠١م.

(٢) توفى فيصل الحسينى فى الكويت إثر أزمة قلبية نتيجة إهانة من بعض الكويتيين، صباح الخميس ٣١/٥/٢٠٠١م.

(٣) صار « آريل شارون » رئيسًا لوزراء العدو وأقام المذابح ضد الفلسطينيين فى كل من الضفة والقطاع، ومازال حتى هذه اللحظة يستخدم الطائرات والدبابات ضدهم بلا هوادة!

لوحظ أيضا أن الولايات المتحدة لم تنطق بكلمة فى الموضوع، وكأن الأمر لا يعنيها، ولكنها بصمتها المريب توافق ضمنًا على ما يقوله اليهود وتؤيده ولا تعبأ بالعرب والمسلمين الذين لم يتكلموا ولم ينطقوا.

يتوافق ذلك كله مع أنباء أزمة خطيرة تواجه جامعة القدس العربية التى تضم خمسة آلاف طالب، ولا تستطيع الجامعة أن تجد ما تنفقه من أجور على الأساتذة والموظفين والعمال، فقد نفدت ميزانيتها التى تعتمد فى الغالب على التبرعات مما يؤذن بإغلاقها، وتشريد طلابها، وهو ما يعنى القضاء على البقية الباقية من هوية القدس العربية المسلمة(١).

لا ريب أن الحكومات العربية فى واد وأوروبا واليهود فى واد آخر، فالعرب تناسوا قضيتهم الأولى، وصمتوا وسكتوا لأسباب لا محل للحديث عنها فى هذا الحيز الضيق.

الآخرون مشغولون بتوزيع الغنائم، فاليهود يريدون «كعكة» القدس كلها، والغرب يريد المشاركة بالتدويل حتى لا يستأثر اليهود بكل شئ.. والقدس تصرخ وتستغيث وتستجير بربها.. ونعم المجيب.

إن مستقبل القدس يجب أن يحدده العرب حكومات وشعوبًا، وهو استقلال القدس استقلالاً كاملاً وذلك بتحريرها من قبضة العدوان الآثم والتواطؤ الدولى المخزى، ويجب ألا يقبل العرب والمسلمون أبداً فكرة

---

(١) قام بعض العرب فيما بعد بمحاولة مساعدة الجامعة من خلال الدعم الذى قررته المؤتمرات العربية للانتفاضة الثانية.

التدويل، وينبغى ألا يعترفوا أبداً بالقدس الغربية عاصمة لليهود مهما كانت المغريات أو المرهبات، فالاعتراف يؤدى إلى ضياع القدس كلها.. أما التصميم فينبغى أن يكون على إعلانها لفلسطين.. لا يشارك فيها أحد لا اليهود ولا العالم.

وهذا ليس كلاماً خرافياً أو خيالياً أو حلماً، ولكنها الحقيقة التى يسندها الواقع، وهوالرفض العربى الإسلامى للاحتلال، واستعداد المسلمين فى كل مكان للجهاد من أجل القدس وحرية القدس وكرامة القدس.

فتح القدس

فيلم للممثل عادل إمام

جمعتنى الأقدار بالممثل القدير « عادل إمام » الذى لا أعرفه ولا يعرفنى على المستوى الشخصى، ولكن المائدة التى جلسنا عليها وتضم عدداً لا بأس به من المشاهير – ولست منهم – أتاحت لى أن أرى الممثل الذى شغل مصر كلها، وتجلت شهرته فى المناسبة التى حضرتها حيث تدفق الناس للتصوير معه، أو التوقيع فى ألبوماتهم.. حتى المسئولون عن القاعة وخدمة الضيوف تركوا كل شئ، وجاءوا للسلام على « الواد محروس بتاع الوزير » والتقاط الصور معه.

كان « عادل إمام » يتحدث مع الجالسين الذين يعرفونه جيداً، ويرتبطون به ارتباطاً وثيقاً، وتطرق الحديث إلى السودان، وعبر عادل عن حبه للسودانيين، وإحساسه بعدم الغربة معهم، وشعوره بأنه لا يترك مصر حين يزور الأراضى السودانية، وجرى حوار حول تصوير العلاقات بين جنوب الوادى وشماله فى فيلم سينمائى، وبدأ عادل إمام غير متحمس للفكرة، لأن الفيلم لن يرضى أيا من الحكومتين فى الخرطوم والقاهرة!

طرأت فى رأسى فكرة أخرى، أفضيت بها لجارى على المائدة وتتلخص فى إعداد فيلم عن « فتح القدس » فى عهد الخليفة الثانى الراشد عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – يقوم ببطولته « عادل إمام » ومعه رهط من

الممثلين أصحاب المواقف السياسية مثل: حمدى أحمد، وصلاح السعدنى، وكانا من الحاضرين على المائدة وقلت لجارى: إننى أرى أن يقوم بإعداد المادة التاريخية الكاتب الصحفى «جمال بدوى»، وكاتب السيناريو والحوار «أسامة أنور عكاشة»، رحب جارى بالفكرة ولكنه اقترح أن يكون الفيلم عن «فتح مصر» أولاً لأسباب تفرضها الظروف الراهنة، ومنها أن البعض يرى فتح مصر احتلالاً عربياً. ويكثر من القول أو الحديث عن الاستعمار الرومانى والاستعمار العربى، والاستعمار الأيوبى والاستعمار المملوكى والاستعمار العثمانى (وقد سمى لويس عوض الاستعمار الإنجليزى بالفتح الإنجليزى). ووزارة الثقافة المصرية سمت الاحتلال الفرنسى وغزو نابليون بالعلاقات الثقافية بين المصريين والفرنسيين وبداية التنوير لشعبنا الظلامى المتخلف)!.

رأى جارى أيضا، إن إعداد فيلم عن «فتح مصر» سيكشف العديد من الحقائق التى يطمسها بعض العملاء، ومنها عروبة مصر قبل الفتح وترحيب مصر بالفتح عندما عرفت مدى سماحة الإسلام سلوكاً وتطبيقاً وتحول أغلبية المصريين أو الاقباط كما كانوا يسمون، سواء كانوا وثنيين أو نصارى إلى الإسلام طواعية وعفويا، وصارت العائلة القبطية الواحدة تضم وثنيين ونصارى ومسلمين، أو تتحول بكاملها من الوثنية أو النصرانية إلى الإسلام.

ويبدو أن جمال بدوى سبق رؤية جارى – الذى أتحدث إليه – فتكلم فى إحدى الندوات عن فتح مصر، وعمرو بن العاص، وكتب عن الموضوع

ذاته، وكأن الأفكار تتلاقى فى أوقات واحدة، فى علاقة خفية لا ندرك لها تعليلاً أو تفسيراً.

المهم أن الفكرة فيلم عن القدس أو فتح مصر يشارك فيه عادل إمام مع آخرين، ستكون خطوة إلى الأمام فى مجال السينما المصرية، وستكون تكفيراً عن ذنوب هذه السينما التى آلت على نفسها أن تروج للسطحية والابتذال والهبوط الخلقى والفكرى، فى الوقت الذى يقوم فيه اليهود باستغلال السينما استغلالاً أمثل، للترويج لأباطيلهم وأراجيفهم وأكاذيبهم، وبث الوعى اليهودى الإجرامى العنصرى فى شتى أرجاء العالم، ولا تكاد تخلو أفلامهم من إشارة إلى ذكاء اليهودى وإنسانيته وعبقريته وتعرضه للظلم وسحقه لظالميه ومضطهديه.. إلخ.

ولا شك أن الأعمال الأخيرة لعادل إمام لم تحقق النجاح القديم الذى صنعته بعض مسرحياته أو أفلامه أو مسلسلاته، بل أن بعض هذه الأعمال كانت صدمة للشعب ومشاعره، خاصة تلك التى تشوه الإسلام وتعتمد على العرى والجنس.

ولا شك أيضا أن الجمهور يذكر لعادل إمام مسلسله الجيد «دموع فى عيون وقحة» حيث صار (جمعة الشوان) شخصية محبوبة، لا يمل الجمهور من مشاهدتها ولو عرضت عليه باستمرار، والمسلسل لا يعتمد على الجنس ولا العرى ولا الألفاظ الخارجة، فضلاً عن كونه يناغى وتراً حساساً لدى الأمة العربية والإسلامية يتمثل فى كراهية العدو، والرغبة

العـارمـة فى الانتـصـار عليـه، وتـخـليص العـبـاد والبـلاد من شـروره وآثامـه وإجرامه.

العمل الجيد يفرض نفسه ولا يمارى فى جودته أشد خصوم عادل إمام، وأرجـو ألا يظن «عـادل إمـام» أن أحـداً يريد هدمـه أو تحطيـمـه، فـالناس ترحب بالعمل الجيد دون وساطة أو دعاية، وما أعـمـال «إسماعيل يس» مع بساطتها، وسذاجتها أحيانًا، إلا دليل ساطع على صدق حس الناس تجاه الفنان الذى يحمل رسالة ويسعى لفائدة المجتمع.. إن إسماعيل يس، لم يتخرج فى جامعة ولم يلق دعماً إعلامياً أو حكومياً، ولكنه بإمكانات عصره صنع أعمالاً فنية يضحك الناس حين يرونها، ويرفهون عن أنفسهم برؤيتها، ويخرجون بقيمة ما بعد مشاهدتها، ويستوى فى ذلك الكبار الذين عاصروه، والأطفال الذين ولدوا بعد رحيله.

إن «فتح القدس» أو «فتح مصر» فى عمل فنى سيكون إضافة لعادل إمام ولمن يشتركون معه، وسيكون مفارقة لواقع سينمائى سيئ وردىء، أشاع البؤس فى نفوس الجمهور، فضلاً عن إشاعة انهيار قيمى وخلقى غير مسبوق.

فهل يفعلها عادل إمام، ويستخدم الموهبة التى منحها الله فى جلاء صورة الإسلام العظيم أمام الأجيال التى تعرضت لعملية غسيل مخ بشعة محت قيم الإسلام من القلوب والعقول؟ ليس على الله ببعيد.

سلام على حزب الله

في الأسابيع الماضية كنت أستمع إلى إذاعة العدو اليهودى فى فلسطين وكانت أنباء جنوب لبنان من قبل اليهود تتصدر النشرات والتقارير الإخبارية(١).

كان الحديث عن القتال اليومى بين المقاومة الإسلامية اللبنانية وجيش الدفاع اليهودى يشير إلى تزايد عدد القتلى من جنود الاحتلال ووصل عددهم فى عشرة أيام إلى سبعة. العدد بالنسبة للعدو كبير خاصة أنه تعود أن يضرب ولا يضرب، واعتاد أن يقتل العرب والمسلمين ولا يقتله العرب ولا المسلمون.. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ...﴾ [الحشر: ١٤].

وقد تحقق لهم التحصين، وتحققت لهم الجدران، سواء كانت فى صورة الطائرات المتفوقة أو الصواريخ أو الأسلحة الأخرى الفتاكة.

بالإضافة إلى تخاذل العرب والمسلمين، واستسلامهم عدا بعض الفصائل القليلة فى لبنان وفلسطين.

ولكن الحق سبحانه وصفهم بالحرص على الحياة... بل على الحياة أية حياة، ولو كانت حياة الذل والهوان، وصدق ربنا سبحانه إذ يقول:

---

(١) كان هذا فى عام ١٩٩٨م (نوفمبر، ديسمبر).

﴿ ولتجدنّهم أحرص النّاس على حياة.. ﴾ [البقرة: ٩٦]، وتأمل التوكيد المضاعف أو الثقيل لترى مدى جبنهم وهلعهم أمام المواجهة الحقيقية ولو كانت من عدد محدود من المقاتلين لا يتجاوزون ألفى مجاهد يضمهم « حزب الله » . كانت إذاعة العدو تتحدث عن الأم والأب اليهوديّين اللذين قررا الانتحار حينما علما بمقتل ابنهما المجند فى كتيبة (جولان) بالجنوب اللبنانى المحتل.

وكانت تتحدث عن الأمهات اليهوديات اللاتى يتظاهرن حول مقر رئيس وزارة العدو اليهودى من أجل أبنائهن المجندين هناك، وكانت تتحدث عن رئيس دولة الاحتلال الذى لا يعرف كيفية الخروج من مستنقع المنطقة الأمنية، وكانت تتحدث عن آراء بعض قادة العدو العسكريين فى ضرورة الانسحاب من طرف واحد مهما كانت الظروف، وكانت تتحدث عن موقف « نتنياهو » الذى يصر على عدم الانسحاب مالم يحصل على اتفاق أمن يرتب به حماية الحدود الشمالية لفلسطين المحتلة.

كل هذا الحديث كان يصب فى حقيقة يعلمها القاصى والدانى ويتجاهلها العرب والمسلمون – أعنى حكوماتهم – وهى أن الجهاد هو الطريق لإرغام اليهود على ترك الأراضى المحتلة، دون استجداء أو وساطات وعدا ذلك هو استسلام، وإن ذوّقوه بألف اسم واسم.. هو خضوع لإرادة العدو الغاصب ومشيئته وقهره، وتنفيذه لهيمنة العالم الصليبى الذى يحارب اليهود نيابة عنه فى بلاد الإسلام والعروبة..

صحيح أن الشعب اللبنانى - وخاصة أهل الجنوب - يدفعون ثمناً يومياً باهظاً لجهاد حزب الله ويتعرضون لقصف الطائرات والمدافع والدبابات اليهودية، فيستشهد منهم كثيرون، وتنهدم بيوتهم وتحرق محاصيلهم، ويتعرضون لخسائر فادحة، ولكن من قال إن ما يتعرض له العدو أقل من ذلك؟ يكفى أن جيش الدفاع لأول مرة فى حياته يخفق استراتيجيا فى مواجهة حزب الله، فلا يستطيع القضاء عليه، ولا يقدر على الانسحاب. ومن المفارقات أن حزب الله لا يطالب بالانسحاب ولا يستجديه، بل يطلب بقاء الجيش الغاصب ليستنزفه ويهز الثقة فيه، ويملأ بالرعب قلوب الآباء والأمهات اليهود، ويحدث خلخلة فى الجبهة الداخلية للعدو.

إن حزب الله يرفع الإصر عن الأمة الإسلامية، ويزيل عنها وصمة العار، وهى تستسلم لإرادة العدو فى فلسطين، وتقبل بشروطه ومهانته، ويظهر أهل (كوبنهاجن) يمثلون دور العقلاء ليقنعوا العرب والمسلمين بأن الاستسلام هو الحل، وأن الواقعية هى العيش تحت الحراب اليهودية عبيداً أو أسرى لا فارق، وأن الجهاد «موضة» قديمة، وأن القتلة اليهود من أمثال «شارون» يمكن أن يتحولوا إلى فلاحين طيبين.

لقد علمنا رسولنا الكريم ﷺ أنه ما ترك قوم الجهاد قط إلا ذلوا.

ونحن العرب والمسلمين نعيش الذل بسبب تخلينا عن الجهاد، وقلنا إن الاستسلام هو الحل.

أما حزب الله فقد خالف المنهج الذى اتبعه العرب والمسلمون

- الحكومات وأهل كوبنهاجن - وآمن بالشهادة طريقًا إلى الجنة والحرية أيضا، فأثار هلع اليهود ورعبهم وجعلهم يتحدثون عن الانسحاب من جانب واحد. هل حدث ذلك على جبهة أخرى غير جبهة الجنوب؟(١).

من المؤسف أن بعض العرب يصف حزب الله في الصحف والإذاعات والتليفزيونات بالتطرف، وبعضهم يصفه بالولاء لإيران، وبعضهم يصفه وصفًا مذهبيًا، وكأن حزب الله يقترف جريمة وهو يدفع عنا تهمة الهوان ومذلة العار.

إن الذين يرفعون القبعات لأساتذة الاستسلام الفلسطيني ينبغي أن يكفوا ألسنتهم - على الأقل - عن جهاد حزب الله، وأن يدافعوا عن المجاهدين الفلسطينيين في حماس وغيرها من فصائل المقاومة الحقيقية ضد العدو، فهذه الفصائل علامة على حيوية الأمة وقدرتها على الصمود وإشارة على وجود الأمل في مستقبل أفضل بإذن الله.

سلام على حزب الله، ومن صار وسار على خطاه، ورحم الله الشهداء ولعن الله الاحتلال، ومن قبل به، ومن سوغ الخضوع له ولإرادته ومشيئته.

---

(١) انسحب اليهود انسحابًا مهينًا من جانب واحد فيما بعد (مايو ٢٠٠٠م)، وتحرر جنوب لبنان بفضل الله، ثم بالتضحيات التي قدمها المجاهدون في الجنوب.

حزب الله وخُدام اليهود!

عندما يشيع اليهود جثث سبعة قتلى من ضباط جيش الدفاع أرداهم مقاتلو حزب الله فى جنوب لبنان، فإن الأمة الإسلامية تعلن عن وجودها على قيد الحياة، وتثبت أن الذين أعلنوا وفاتها ذات يوم مخطئون، لسبب بسيط، هو أنهم خلطوا بين الأمة وحكامها، وبين الشعوب ومسئوليها، وهذا الخلط هو الذى قادهم إلى الفهم الخاطئ واليأس الكامل.

العدو اليهودى فى فلسطين المحتلة هزم الحكومات العربية والإسلامية، ولكنه لم يهزم الشعوب العربية والإسلامية، ولن يهزمها بإذن الله، ويوم يتاح لهذه الشعوب أن تعبر عن إرادتها وتملك حريتها، فإن صورة السجال بيننا وبين عدونا ستتغير، وستصبح الكفة الراجحة من نصيب العرب والمسلمين.

لقد مضى نصف قرن من الزمان على قيام دولة العدو فى فلسطين المحتلة، ولم تتمكن الشعوب العربية والإسلامية من مواجهتها مواجهة شاملة وحقيقية؛ لأن الحكومات العربية والإسلامية حالت بين الشعوب والعدو اليهودى، وفى الوقت الذى كان فيه اليهود ينعمون على أرض فلسطين المحتلة بحكومة ديمقراطية، تحقق لهم الحرية والكرامة والعدل، كان العرب والمسلمون يرزحون تحت حكومات انقلابية معادية للديمقراطية والحرية والكرامة والعدل، فتمددت دولة «العدوان اليهودى» وازدهرت، وصارت الدولة الأولى فى المنطقة: قوة ونفوذا وتأثيراً، وتسعى معظم الحكومات فى المنطقة لاسترضائها أو كسب ودها، أو عدم استفزازها، ومن يجرؤ فعقابه معروف!

حزب الله فى جنوب لبنان،صنع معادلة جديدة وبسيطة وسهلة تتجاوز الاسترخاء وكسب الود وعدم الاستفزاز. آمن أفراده بشئ اسمه «الشهادة» أو الموت فى سبيل الله، وراحوا يواجهون جيش الدفاع بأسلحتهم البسيطة فيَقتلون ويُقتلون،وصار المجاهدون يفرحون بالشهادة، وصار اليهود المعتدون ينوحون على قتلاهم وتطلب نساؤهم ورجالهم الانسحاب الفورى من غير شروط من جنوب لبنان.

ويوم قامت قوات جيش الدفاع باحتلال قرية «أرنون» فى جنوب لبنان توسيعًا للمنطقة المحتلة، فإن طلاب الجامعة (بيروت-العربية) انطلقوا إلى القرية، ونزعوا الأسلاك الشائكة واقتحموا الألغام، ولم تملك دولة العدوان اليهودى إلا الخضوع والتسليم والانسحاب من القرية، واستطاعت الإرادة الشعبية أن تحقق ما أخفقت فيه الجهود السياسية والدبلوماسية.

المشكلة فى بلادنا العربية والإسلامية أن فريقًا ممن ضعفوا أمام مصالحهم الشخصية، وطموحاتهم الفردية راحوا يخدمون اليهود المعتدين بقصد أو بغير قصد، وأخذوا يصورون المواجهة مع العدوان اليهودى تصويرًا غريبًا، ويصفون حزب الله بالعمالة لحساب إيران ويدعون إلى التعامل مع العدو فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية دون حساسيات.

بل يرون فيه نموذجًا للتقدم أو الخبرة ينبغى الاستفادة منها مثله مثل أى دولة أخرى فى العالم.

وهذا المنطق يشكل خللاً واضحاً فى تفكيرهم، حين ينسى هؤلاء

الجذور التاريخية للعدوان اليهودى على أمتنا ونتائجه الماثلة أمامنا: احتلال فلسطين والقدس والجولان وجنوب لبنان وتشريد الشعب الفلسطينى والهيمنة على البر والبحر والجو من حولنا وترهيبنا بالقنابل الذرية والأسلحة الجرثومية والكيماوية.

لا ريب أن خدام اليهود يمثلون نقطة ضعف فى نسيج الأمة، لأنهم يشكلون دماغ الأمة أو يسهمون فى تشكيلها عن طريق الكلمة أو الدراما أو الأفلام أو غير ذلك، كما يساعدون على نزع دوافع المقاومة وإخمادها مجانا، دون مقابل، فى الوقت الذى يقوم فيه العدو بتعزيز دوافع المقاومة لدى أفراده وتحريضهم على قتل العرب والمسلمين فى كل مناسبة متاحة.

إن حزب الله يقوم بدور رائد فى إيقاظ الأمة، وتقديم الدليل على قدرتها لصد العدو، وإيلامه، ومعاقبته، ولو أن المسلمين قدموا مجاهدين بما يتناسب مع عددهم الضخم لينضموا إلى حزب الله لتغيرت الحال وصارت الأوضاع بالنسبة لأمتنا شيئًا آخر، على الأقل فإن العدو سوف يصغى لما نقول، وينفذ ما نريد لأننا عندئذ سنكون فى حسبانه، أو رقمًا فى حساباته، أما خدام اليهود الذين يصفون حزب الله بالعمالة، فإننا نقول لهم: شكرًا لإيران التى قدمت لنا حزبًا يرد لنا الاعتبار ويثبت حيوية أمتنا، ثم نسأل سؤالاً بسيطًا: هل كل أموال الدنيا يمكن أن تدفع إنسانًا لمواجهة جيش قوى يعلم أنه سيقتله لا محالة.

إن العميل الحقيقى هو الذى يقف ضد حرية أمته، وكرامة وطنه واستقلال شعبه!.

.. ليكن انسحابا مشروطاً !

يتحدث اليهود والغرب عن انسحاب مشروط للقوات اليهودية الغازية في جنوب لبنان بعد أن ارتفعت أعداد القتلى في جيش الدفاع على يد المقاومة الإسلامية المشروعة(1)، وتتلخص الشروط التى يطرحها رئيس حكومة العدو اليهودى، فى ترتيبات أمنية على الحدود بين فلسطين المحتلة وجنوب لبنان، تضمن عدم مهاجمة المقاومة الإسلامية للمستعمرات اليهودية فى شمال فلسطين، وموافقة سورية على ذلك، مع انتشار الجيش اللبنانى فى المناطق التى يحتلها اليهود وجيش العميل «أنطون لحد» وضمان عدم محاكمة الخونة من أفراد هذا الجيش وعلى رأسهم بالطبع قائده.

وللأسف فإن العرب كعادتهم لا يستثمرون المواقف بطريقة مجدية ومثمرة، لقد اكتفوا بالقول: نريد انسحابا غير مشروط.

وهذا القول كما أرى فيه تفريط كبير، وخسارة أكبر، لأن العدو حين ينسحب بدون شروط، سيجد سنداً دوليًا حين تمد المقاومة عملياتها إلى المستعمرات اليهودية فى شمال فلسطين، وسيقال إن المقاومة تعتدى على دولة ذات سيادة بحكم الاعتراف الدولى الذى أسبغته دول العالم وبعض

---

(1) كان ذلك قبل الانسحاب اليهودى غير المشروط فى مايو ٢٠٠٠م. والموقف يؤكد أن المقاومة الجادة هى الطريق إلى الحرية والاستقلال.

الدول العربية على الكيان العبرى المحتل، وسيكون لليهود الحق فى الرد بضرب لبنان بالصورة التى يريدونها.

إننى أرى ضرورة الانسحاب المشروط، ليس من وجهة النظر اليهودية الاستعمارية ولكن من وجهة النظر العربية الإسلامية وتتلخص هذه الشروط فيما يلى:

١- الانسحاب التام والكامل من جنوب لبنان فى أقصر مدة، مع التزام كتابى تضمنه أوروبا وروسيا والصين - وليس أمريكا ذات الوجهين - بعدم الاعتداء على لبنان أو التدخل فى شئونه الداخلية.

٢- تسليم الجيش العميل وقائده إلى الجيش اللبنانى للمحاكمة، والتعهد بعدم منح أى من أفراد هذا الجيش الجنسية اليهودية أو حق اللجوء السياسى إلى فلسطين المحتلة أو أى من الدول الأخرى.

٣- تعويض لبنان عن الخسائر التى تسببت فيها قوات الاحتلال منذ ١٩٨٢م حتى لحظة انسحاب آخر جندى من جنوب لبنان المحتل على أن يكون التعويض بأسعار اليوم، وليس بأسعار الأمس.

٤- تعويض أسر الشهداء والجرحى الذين قتلهم اليهود أو جرحوهم تعويضاً عادلاً يعيد لأسرهم بعض الراحة والمواساة.

٥- تقديم مجرمى الحرب اليهود الذين قادوا الغزو اليهودى عام ١٩٨٢م، وعلى رأسهم المجرم «آرييل شارون» وكذا من قاموا بمذبحة «قانا» وعلى رأسهم السفاح المجرم «شيمون بيريز» إلى محكمة العدل

الدولية للاقتصاص منهم، وردع من تسول له نفسه قتل المدنيين المسالمين فى حرب عدوانية ظالمة لا مسوغ لها.

٦- إعادة اللاجئين الفلسطينيين فى لبنان إلى وطنهم المحتل وتعويضهم عما لحق بهم وما أصابهم طوال خمسين عامًا من قهر وذل وتشريد.

٧- الإفراج عن الأسرى والمعتقلين والمخطوفين الذين قام اليهود بأسرهم واعتقالهم وخطفهم فى عمليات إجرامية على مدى الفترة الماضية.

٨- توقف عمليات الطيران اليهودى سواء بالإغارة أو الاستطلاع فى سماء لبنان، وإقامة قواعد صواريخ ومضادات أرضية فى جنوب لبنان للتعامل مع الطيران اليهودى عند تجاوز حدوده والدخول إلى المجال الجوى اللبنانى.

إذا قبل اليهود هذه الشروط، فإن المقاومة ستتوقف تلقائيا، أما إذا لم يقبلوا، فإن المقاومة ستستمر وستكون فرصة ذهبية لاستنزاف العدو وتصفية أفراده بانتظام، وبث الرعب فى قلوب المحتلين جميعًا والتمهيد لبعث مقاومة عربية إسلامية شاملة.

قد يرى البعض من منطلق انهزامى أن هذه الشروط خيالية ولن يقبلها اليهود، خاصة أنهم تعودوا على الاشتراط أو فرض شروطهم، كما حدث فى المعاهدات والاتفاقيات السابقة، حيث قبلت شروطهم قوى أكبر من لبنان.. والحقيقة أن هذا الكلام مع وجاهته ينسى أن خريطة الواقع قد تغيرت مؤخراً، لأسباب عديدة منها:

١- لم يعد حزب الله أو المقاومة الإسلامية الوطنية فى جنوب لبنان

ذلك الشبح الذى ينفر منه الناس، وكما كانت تصوره أجهزة الدعاية اليهودية الأمريكية والموالية للأمريكان فى العالم العربى، فقد أثبت أفراده أنهم يسعون للشهادة من أجل التحرير ولا يسعون إلى السلطة أو الثروة أو الشهرة كما فعل غيرهم من المناضلين السابقين.

٢- عرف العرب واليهود أن نقطة الضعف الوحيدة التى تؤلم وتوجع، هى خسارة أفراد «جيش الدفاع» وهذه الخسارة أكبر من كل الطائرات والصواريخ والدبابات، وقد خسر العدو فى لبنان منذ احتلاله أو غزوه ما يقرب من ألف وخمسمائة قتيل، وهو أكبر عدد يخسره اليهود فى حروبهم مع دولة عربية.

٣- تأييد الشعوب العربية والإسلامية لحزب الله يشعر اليهود بأن استمرار احتلالهم لجنوب لبنان سيشعل المقاومة الشاملة ضدهم وضد الولايات المتحدة وسيكلفهم الكثير من الدماء..

لذا.. فإن قبول الشروط أمر وارد[1] وممكن بل وحتمى إذا لم يأت ضرب المقاومة على يد الأشقاء!.

(١) للاسف هرب اليهود من جنوب لبنان قبل أن يفرضوا شروطهم، أو يفرض حزب الله شروطه!

إنهم خُدام الاستعمار الصليبى !

تمثل الجزائر فى وجدانى حالة خاصة، فهى رمز للبطولة الفريدة والتضحيات العظيمة، وهى بلد المليون شهيد، وهى رمز الأمل للمجاهدين الذين يحولون - بفضل الله - حركة التاريخ، من أمر واقع يتصور المستعمرون الغزاة أنه لن يتغير، إلى أمر واقع جديد يمنح أهله الحرية والاستقلال والعزة.

وقد شدنى مقال الأستاذ المجاهد «حسن دوح» (الوفد ٢٠/١٠/١٩٩٧م) عن الجزائر وأحوال المسلمين، لأرد على تساؤله الذى أجاب عليه ضمنا، ولأقول له إن القتلة السفاحين السفاكين من فصيلة الخونة ومن أتباع العدو الصليبى المستعمر وأعوانه، يأتمرون بأمره ويتحركون بإرادته، ويعملون بوحيه ويتلقون منه العون والسلاح والخطط.

إن الجزائريين الذين يتساقطون يوميًا نتيجة لأبشع المذابح التى عرفها التاريخ، دماؤهم معلقة فى رقاب خدام المستعمر الصليبى، ويسميهم الشعب الجزائرى المسلم «حزب فرنسا»، وينعتهم المعلقون المحايدون بلقب «بارونات السلطة والثروة».. هؤلاء البارونات الذين لم يحصلوا على الثروة بجهدهم أو عرقهم ولكنهم نزحوها من أموال الشعب المجاهد وهربوها إلى الخارج، ولم يرقوا إلى السلطة إلا على أسنة الرماح، ودماء الأبرياء، وزعموا أنهم الأحق وحدهم بالقول والفعل، وردد الشعب بيت شيخ المعرة:

جلوا صـــارمـًــا وتلوا باطلاً وقـالوا صـدقنا. فـقلنا: نعم!

وقد وجد «بارونات السلطة والثروة» دعماً غير محدود من ساداتهم ومحركيهم، على المستوى الدعائى، والصعيد السياسى، ورأينا لأول مرة رئيس الجمهورية الذى أجرى انتخابات نزيهة حققت فيها جبهة الإنقاذ الإسلامية أغلبية مطلقة، تتم إقالته جهاراً نهاراً، ورأينا الجبهة الفائزة فى الانتخابات تحرم من الوصول إلى السلطة، وبعدئذ يتم نسف المجالس المحلية المنتخبة، وإقامة معسكرات الاعتقال فى جنوب البلاد حيث الصحارى القاحلة الحارقة، ويوضع عشرات الألوف من الشباب فى هذه المعسكرات تحت أحدث آلات التعذيب مع انتهاك آدميتهم وسحق كرامتهم، ثم يقوم السفاحون الخونة بتنصيب رؤساء على أمزجتهم، ومن يخرج عن إرادتهم تتم تصفيته علنا، كما جرى لمحمد بو ضياف، وتدخل البلاد فى دوامة العنف، وتعمل فرنسا بلا كلل لإحياء النزعة الفرانكفونية بتحريض البربر وإثارة النزعة العرقية لديهم، وتقيم لهم جامعة فى جنوب فرنسا، فضلاً عن إذاعة قوية وقناة فضائية، ثم تتبنى ما يسمى القضية البربرية فى أجهزتها الدعائية بصورة شبه يومية.

صار الدم اللغة الوحيدة فى الجزائر الشقيقة الحبيبة، ورفض «حزب فرنسا» أية لغة أخرى للحوار، وصارت البلاد المسلمة المجاهدة نهبا لصراع عبثى لا يتوقف ولا ينتظر أن ينتهى قريبًا، فى الوقت الذى تتدهور فيه الأحوال الاقتصادية وتزداد الديون لدول الاستعمار الآثم، مع أن الجزائر تملك مقومات الدولة الغنية وعناصر الاقتصاد المزدهر.. ولكنها مستلبة ومنهوبة ومجروحة.

فى كتابى (النظام العسكرى فى الجزائر - دار الاعتصام ١٩٩٢م) رصدت الأحوال الاقتصادية والسياسية والثقافية فى الجزائر الشقيقة عقب الانتخابات الشهيرة وهالنى أن تكون الجزائر باذخة الغنى بما تملك، ولكنها مدينة حتى الركب، وبارونات السلطة والثروة ينزحون أموالها إلى الشاطئ الآخر.

والمفارقة أنه كلما بدا أن الأزمة فى طريقها إلى انفراج، تعود الدائرة الجهنمية مرة أخرى إلى العمل، أقصد إلى الذبح على طريقة الجيش السرى الفرنسى. ويتساءل المراقب: لماذا لا يمانع حزب فرنسا - الحاكم الحقيقى - من الحوار مع «طوب الأرض» ولكنه يرفض كل محاولة للحوار مع فرقاء الصراع؟

والمفارقة الأخرى أن حزب فرنسا، وهو يتعامل بلغة الدم، حرص على «استئصال الإسلام» بكل قسوة، وكأن الانتخابات الشهيرة كانت فرصته النادرة ليحقق لفرنسا ماعجزت عن تحقيقه طوال ثلاثين ومائة عام، وعدوانها الوحشى الذى يتنافى مع قيم «المسيحية» السمحاء وأخلاق المسيح عليه السلام والمعلم الذى علم أتباعه إذا ضُربوا على خدودهم اليسرى أن يديروا خدودهم اليمنى .إن كل نبأ تذيعه الوكالات عن مذبحة جديدة فى الجزائر الحبيبة يشق الصدر، ويصمى القلب، ويزهق الروح أسى وأسفًا على شعبنا المجاهد البطل، الذى كانت ترشحه الأحداث ليكون سندًا قويًا فى معركة تحرير القدس وفلسطين.

وأقول للأستاذ المجاهد «حسن دوح»[1] : إن السلاح الذى نرد به على حزب فرنسا وحماته وأتباعه هو نداء «وإسلاماه» بناء النفس والروح والجسم على الحرية النابعة من «لا إله إلا الله .. محمد رسول الله»، بحقها، نبنى الأوطان على الإيمان والشورى والاستقلال والجهاد ضد الأشرار الذين يبثون الفرقة ويزرعون الفتنة ويحاصروننا من كل اتجاه.

«وإسلاماه» تعنى العدل والحوار والكرامة، حتى نعود إلى المنهج الصحيح الذى رسمه محمد بن عبد الله ﷺ ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...** ﴾ [الفتح : ٢٩] ويوم تسود الرحمة فيما بيننا والشدة على أعدائنا، فسوف تعتدل أشياء كثيرة، ويرهبنا المعتدون ويحترمنا الأصدقاء.. وتجف جذور الشر والعنف.

أما أنت يا جزائر.. يا بلد المليون شهيد فقلوبنا معك وأملنا فى الله ثم فى العقلاء الذين لم تلوثهم شهوة السلطة أو شهوة الثروة لتتوقف المذابح وتبدأ المصالحة ويعم السلام.

---

(١) توفى إلى رحمة الله فى أكتوبر ٢٠٠١م عن عمر يناهز الثمانين عاماً، وكان من المجاهدين فى فلسطين عام ١٩٤٨م.

الشيطان الأكبر

انتهى الشيطان الأصغر من أحدث جرائمه، بقتل أكثر من مائتى طفل وامرأة ورجل فضلاً عن مئات الجرحى[1]، وتدمير البنية الأساسية فى لبنان، وإذلال العرب والمسلمين جميعاً، إذ لم يفتحوا أفواههم أو عيونهم فى وجه «غراب» السلام اليهودى السفاح بيريز، الذى لقنهم درساً مفيداً فى ماهية السلام وأبعاده ومستحقاته.

أما الشيطان الأكبر، فمشغول كعادته بتدليل الشيطان الأصغر وتزويده بأحدث اللعب التكنولوجية التى يسكت بها العرب المتوحشين الهمج فى الغابة المحيطة به.

والحقيقة أن الشيطان الأكبر له مكانة سامية فى قلوب معظم الحكومات الإسلامية والعربية، لدرجة أن الأغلبية الساحقة، صارت لا تبتسم إلا إذا ابتسم، ولا تتكلم إلا إذا تكلم، ولا تكشر عن أنيابها إلا إذا كشر، وهى معه على طول الخط سواء كان مصيباً أو مخطئاً إذ إن شدة حبه والتوله به، تجعل من مخالفته ولو صوريا أمراً صعباً إن لم يكن مستحيلاً، ومن الحب ما قتل. عندما يقول الشيطان الأكبر إن الإسلام هو العدو، وإنه يناقض السلام اليهودى فما على المحبين إلا استئصال الإسلام ومحاربته وتجفيف منابعه، كى يتحقق الاستقرار والسلام والأمن اليهودى! وإذا قال إن معارضى السلام اليهودى يزعجون دولة التوراة، فما على المهرولين والمتمهلين إلا إصدار القرارات والقوانين وتكوين الجيوش الوسيطة

---

(١) إشارة إلى مذبحة قانا الشهيرة التى قام بها اليهود القتلة فى عهد السفاح شيمون بيريز!

والميلشيات، التى تقوم بتقييد حرية هؤلاء المعارضين ووضعهم على لوائح المطلوبين ومطاردتهم فى صحوهم ونومهم، ومحاكمتهم أمام المحاكم العسكرية عند اللزوم.

باختصار فإن الشيطان الأكبر حوَّل المواجهة على حدود فلسطين إلى مواجهة تصل إلى حد الاقتتال داخل الدول العربية ذاتها، ويسقط الضحايا كل يوم هنا وهناك، والشيطان الأكبر يبتسم فرحًا بالحرب المثمرة والحرائق المشتعلة فى البيت العربى والإسلامى، لدرجة أن الدولة الوحيدة التى تتمتع بعلاقات طيبة مع جميع الدول العربية الإسلامية هى دولة الشيطان الأصغر. أما الدول العربية المسلمة فقليلاً ما تجد بعضها على وفاق مع البعض الآخر، وكثيراً ما حرض الشيطان الأكبر دولاً عربية ضد أخرى فقاتلت بعضها، وتدخل هو وسيطًا أو مناصراً لطرف ضد آخر، وفى الوقت ذاته، اصطفى الشيطان الأكبر عن طريق الحكومات العربية أو بصورة مباشرة فريقًا من المثقفين الخونة الذين صارت مهمتهم الوحيدة تجميل الوجه القبيح للشيطان الأصغر، وتشويه صورة الإسلام بكل الوسائل والسبل الممكنة بدءًا من الدعوة إلى الإلحاد باسم التنوير وصولاً إلى الكفر باسم الحداثة والتقدمية، بعد أن مكنهم من وسائط النشر والدعاية والتعبير.

ومن المفارقات اللافتة أن الشيطان الأكبر، ساعد الدول الشيوعية على التحرر من هيمنة الأحزاب الديكتاتورية الحاكمة، حيث تحولت معظم هذه الدول إلى السلوك الديمقراطى الحر.. وكان المأمول أن تكون الدول العربية والإسلامية على الطريق ذاته، وللأسف فإن الشيطان الأكبر وقف

بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ضد حرية الشعوب العربية بدعوى حمايتها من الأصولية الإسلامية أو الإرهاب الإسلامي؟ وانتهى الأمر عمليًا إلى كون الديمقراطية لا تليق بالعرب والمسلمين، لأن معنى وجود ديمقراطية هو وصول الأصولية إلى الحكم! ومن ثم رحب الشيطان الأكبر بإلغاء انتخابات الجزائر التي فازت فيها الحركة الإسلامية، ورحب ضمنا بتنحية رئيس الجمهورية الذي سمح بهذه الانتخابات ووافق عمليًا على معسكرات الاعتقال والتعذيب والقتل التي أقامها العساكر الموالون لفرنسا في الصحراء الكبرى حيث الجو اللاهب وجهنم الحمراء! ثم حرم الانتخابات الحرة في بقية الدول العربية، لكن الشيطان الأكبر جرد بوارجه وطائراته وأساطيله، وتوجه نحو هاييتي ليعيد رجل الدين «القسيس أريستد» إلى الحكم بدعوى الحفاظ على الديمقراطية!

لا يطيق الشيطان الأكبر سماع كلمة «إسلام» في بقعة إسلامية، إنه يوافق على الإسلام الشكلي الذي يعطي صورة مشوهة ومزيفة ولكنه لا يقبل أبدًا بالإسلام النقي الحقيقي الذي يمثل التطور الإنساني والفكري في سلوك المسلمين، لذا قام بإشعال الحرب في أفغانستان عقب انتصارها على السوفييت، وكلما شعر أن القوى المتصارعة قد أنهكت واقتربت من التفاهم، قام بتشكيل جماعات من الطلاب[١] الجهلة الذين يمثلون صورة

---

(١) هم «طالبان» الذين انقلب عليهم الشيطان الأكبر بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م وجرد جيوشًا جبارة دمرتهم ودمرت أفغانستان كلها، ثم أقام حكومة على هواه! منها عشرة وزراء يحملون الجنسية الأمريكية إلى جانب الجنسية الأفغانية، وهذا المقال من أوائل المقالات التي نبهت إلى أخطاء طالبان وتصنيعها الأمريكي، مع مقالات أخرى للكاتب!

قبيحة للإسلام وزودهم بالسلاح والصواريخ والطائرات ليستمر الخراب والدمار فى البلد الذى كان يعقد عليه المسلمون كثيراً من الآمال.

وعندما فاز حزب الرفاه الإسلامى فى تركيا استخدم نفوذه الخفى لتشكيل الحكومة التركية من خدامه الذين يعادون العرب والإسلام جميعاً.

وعندما فكرت إيران فى إنشاء مفاعل نووى، قام بشن حملة تهديد ووعيد للروس والصين وكوريا كى لا يتم إنشاء المفاعل، وفى ليبيا يحدث الشئ نفسه عندما روج للحديث عن مصنع كيماوى ادعى أنها تقيمه وتهدد به السلام العالمى وأنه يجب ضربها.. فى حين أن الشيطان الأصغر يحظى يومياً بالدعم المستمر وبأحدث أنواع التكنولوجيا النووية لمفاعلاته فى ديمونة وغيرها.

إن الشيطان الأكبر يحارب الإسلام والمسلمين بكل ضراوة، وقد أعلنها صريحة السيد «هانتجتون» مساعد وزير الخارجية الأمريكى من خلال كلامه عن صراع الحضارات، حيث طلب من المسلمين إذا كانوا يريدون العيش فى أمان أن يلحقوا بالغرب فكراً وسلوكاً وإرادة، وأن يحددوا نسلهم! وإلا فإن العواقب ستكون وخيمة. ولعل هذا يفسر لنا الصمت الغربى عن إبادة شعب البوسنة ومكافأة المعتدى الصربى.

ولم يعد خافيا ما يعنيه اختفاء كلمة «الجهاد» من لغة العرب والمسلمين، وسيادة كلمة: الإرهاب وإطلاقها على كل عمل جهادى

شريف ضد الشيطان الأصغر وممارساته الإجرامية ضد المظلومين والمقهورين.

الناس يتساءلون إلى متى تستمر هذه الحال؟

والجواب يقول: إن المقاييس الأرضية تؤكد نجاح الشيطان الأكبر وبالتالي الشيطان الأصغر فى تحقيق أهدافهما بإقامة «مملكة داود» وتحويل العرب والمسلمين إلى «هنود حمر» بعد استلابهم وإذلالهم.

أما المقاييس الإلهية فلها منطق آخر، وعسى الله أن يأتى بقوم يحبهم ويحبونه.

ثعلب الصحراء: الدور على مَنْ؟

لا شك أن كل مواطن عربى على امتداد الأرض العربية، قد هزه العدوان الإجرامى على بغداد وما حولها من مدن وقرى آمنة، ولا شأن لها بالنشاط العسكرى أو القتالى، وهذا العدوان الإجرامى صريح فى عداوته وإجرامه، لم يستتر بأية ورقة شرعية أو قانونية، بل خالف آراء الدول المشاركة فى مجلس الأمن الدولى، وشن عملياته دون غطاء!

إن الحزن يلف الأمة العربية والإسلامية، لأن شعباً عربياً مسلماً يضرب بكل قسوة، ولا ينجده أحد ولا يسعفه أحد، لا من الأشقاء، ولا الغرباء، فالجميع تركوه يواجه قدره وحيداً يتعرض للذبح والدمار والخراب، وفلاسفة العدوان الإجرامى فى مجلس العموم البريطانى، والكونجرس الأمريكى يضحكون ويتبادلون النكات، ويناقشون توابع قصة «كلينتون» مع الآنسة «مونيكا»!

الذين ينظرون إلى الأمر من خلال الغارات الوحشية على العراق يتصورون أن المسألة تتعلق بلجان التفتيش التى تبحث عن أسلحة نووية هناك ولكن الذين ينظرون إلى الأعماق يؤمنون أن الجريمة أبعد من ذلك، وتتصل بحرب رمضان (١٣٩٣ هـ، ١٩٧٣م)، حيث قرر السيد «هنرى كيسنجر» وزير الخارجية الأمريكى آنئذ ضرورة بلقنة المنطقة العربية، أو عبرنتها – وفق لفظه – ونشر تقريره الذى يتضمن البلقنة أو العبرنة فى أكثر من صحيفة، وترجمته الصحف اللبنانية فى حينه، وتتم العبرنة من

خلال إثارة النزاعات الطائفية والعرقية والمذهبية بين الدول العربية والإسلامية لتستنزف جهودها وطاقاتها وأموالها ومصادر دخلها، وقد بدأت العملية في لبنان بإثارة الحرب الطائفية البشعة، وتحريك « صدام » ضد إيران في الوقت الذي تمت فيه تقوية « الكيان اليهودي » عسكريًا وسياسيًا ليستعد لقيادة الخريطة الجديدة! وقد تمخضت الأمور بعدئذ عن إشعال النار في السودان والصومال وليبيا وتشاد والجزائر وموريتانيا ومالي، فضلاً عما جرى ويجري في أفغانستان وما كان سببًا مباشرًا فيما يحدث في بلاد العالم الإسلامي.

أما ما سوف يجري فالله وحده أعلم به وبتفاصيله.

خلاصة الأمر أن حركة الصواريخ الأمريكية والطائرات البريطانية لا تسعى لتحقيق عدل، ولا إعلاء شرعية، بقدر ما تسعى إلى توجيه رسالة إلى العرب والمسلمين أجمعين أن يكونوا عبيدًا وخدامًا لسادة العالم الأقوياء، وإلا فإن مصيرهم سيكون مثل مصير ساكن بغداد! وقد وصلت الرسالة بلا شك إلى من يعنيهم الأمر دون أن تصل إلى « صدام حسين » الذي يزعم موجهوها، أنها تخصه وحده دون غيره، فهم متأكدون جيدًا أن الرجل يمثل حالة مثالية في موقعه يستطيعون من خلالها أن يخيفوا الآخرين ويؤدبوهم ويعلموهم الدروس المفيدة! وقد أعلن قائد عاصفة الصحراء أن الرئيس (جورج بوش)[1] أمر بعدم إسقاط « صدام » وأعلن

---

(١) يقصد جورج بوش الأب والد الرئيس الأمريكي الحالي، الذي بدأ حربًا شاملة ضد الإسلام والمسلمين بدأها من أفغانستان تحت عنوان « محاربة الإرهاب »!.

وزير الدفاع البريطانى قبل أيام أن « ثعلب الصحراء » لا تستهدف إسقاط صدام أيضا . . مما يؤكد أن الرجل يقدم خدمة جليلة للسادة الأقوياء ولو لم يدرِ!

خطة العبرنة أوالبلقنة تقتضى أن تكون الدولة العبرية فى موقع القيادة الذى لا يُنافس وموضع القيادة الذى لا يمكن أن يعكر مزاجه مخلوق، فإن الأمر يفرض ألا يكون هنالك أى طرف فى المنطقة يملك سلاحًا أو تأثيرًا يستطيع فى يوم ما أن يسبب لها مشكلة من نوع ما، لذا فإن الدول العربية المرشحة لتلقى مصير العراق هى : سورية ومصر والجزائر، ولأن الأخيرة مشغولة بنفسها، وبقتل أهلها بعضهم بعضًا، فإن سورية ومصر هما المرشحتان، ولكن قوى الشر العظمى تجد حتى الآن صعوبة فى التعامل معها وسحبها إلى ميدان الدمار، فقد أفلتت سورية من الفخ « التركى » الذى نصبوه لها، بفضل الحكمة المصرية والتعاون السورى، وأفلتت مصر من فخ « الفتنة الطائفية » عندما وقف المصريون الأقباط « مسلمين ونصارى » فى مواجهة القلة الخائنة فى المهجر والدعاية الآثمة فى لندن ونيويورك!

وحتى لا يأتى الدور على أى من الدولتين، فإن الأمل كان منعقداً على مؤتمر القمة العربى الذى كان يبحث عن حل لمحنة العراق ومواجهة العدوان الإجرامى .

ولعل من المفيد أن يناقش العرب فى القمة أو خارجها النقاط التالية حتى لا يتعرضوا، أو يتعرض بعضهم لمحنة العراق على يد الأشرار :

– ألم يئن الأوان للمصالحة الشاملة بين الحكومات العربية وشعوبها ولم الشمل على أسس يرتضيها الجميع، تحفظ للوطن حقوقه وتصون كرامة أفراده، وتشرك الجميع فى التعاون حول ما هو ضرورى وأساسى؟

– ما جدوى الأمم المتحدة، وقد هيمن عليها الأشرار وسادتها شريعة الغاب، وضاع منها حق المستضعفين والمظلومين واستأسد الطغاة والغاصبون، وشذاذ الآفاق؟

– هل من المقبول أن تبقى قوات العدوان الإجرامى على أرض عربية – فى الخليج أو غيره – بعد هذا الذى جرى ويجرى ثم تتقاضى فاتورة الخراب والدمار من دم المواطن العربى المظلوم؟

– إلى متى يظل الغرب بقيادة الولايات المتحدة مناط رجائنا وآمالنا فى الوقت الذى لا نريد فيه أن نحرك قدراتنا الذاتية وإمكاناتنا الخاصة للعمل المشترك، وإيجاد البدائل الملائمة فى جميع المجالات الاقتصادية والتجارية والصناعية والزراعية والعسكرية والسياسية؟

– إذا اهتدى العرب إلى إجابة سليمة، فإن الدور سيكون على المعتدين والله غالب على أمره.

هل يمكن عزل أمريكا..؟

أعلن «بريماكوف»[1] رئيس وزراء روسيا السابق عن فكرة تحالف استراتيجي بين الهند والصين وروسيا، في أثناء زيارته للهند قبل سنوات، والهدف من الفكرة خلق كيان سياسي دفاعي يواجه هيمنة الولايات المتحدة وانفرادها بالعالم، وآسيا على وجه الخصوص، والدول الثلاث مؤهلة لإقامة كيان مؤثر بالفعل، فلديها الطاقة البشرية والقدرة النووية والإمكانات الاقتصادية (استهلاكًا وإنتاجًا على حد سواء) ومعنى ذلك أنها تستطيع أن تواجه القطب الأوحد في العالم وتجعله يفكر قبل أن يتخذ قراراته.. ومن ثم، فإن مسألة التأثير في القرار الأمريكي عملية ممكنة، وبالتالي فإن فكرة «عزل» الولايات المتحدة وتأديبها أمر ممكن.. فالعالم العربي الإسلامي ودول العالم الثالث وعالم عدم الإنحياز، تستطيع إذا تضافرت جهودها أن تقنع أمريكا بأنه لا يصح إلا الصحيح، وأن البلطجة غير جائزة أمام إرادة المستضعفين، والقانون الدولي، والشرعية الدولية..

إن الولايات المتحدة لا تعبأ بالقانون ولا الأخلاق ولا القيم ولكنها تفهم لغة واحدة فقط هي لغة المصلحة..

ومن أمثلة البلطجة الأمريكية على المسرح الدولي:

– اعتقال رئيس نيكاراجوا – الجنرال نورييجا – ونقله من منزله في

(١) تمت إقالته بعد خلاف مع رئيس الجمهورية الروسي.

عاصمة بلاده، إلى أحد سجون الولايات المتحدة، وارتدائه ثياب السجن الأمريكى الزرقاء بحجة التجارة فى المخدرات!

- التدخل فى « جرينادا » وإحلال الرئيس المخلوع محل الرئيس المثبت، بحجة إعادة الديمقراطية!

- قصف الجماهيرية الليبية لقتل العقيد القذافى بحجة مقاومة الإرهاب!

- خطف مواطنين من بلاد عربية وإسلامية ونقلهم إلى واشنطن لمحاكمتهم أو قضاء عقوبات حكمت بها المحاكم الأمريكية.

- قصف السودان وأفغانستان، بحجة تدمير مصنع أسلحة كيمائية أو القضاء على أوكار الإرهابيين!

- إسقاط طائرة إيرانية مدنية دون سبب واضح، ومصرع جميع ركابها الذين يقرب عددهم من ثلاثمائة شهيد!

- التدخل فى لبنان بالقوات البحرية « المارينز » فى أثناء الحرب الأهلية لمناصرة فريق على فريق! والحجة هنا هى تحقيق الأمن!

- الوقوف ضد قرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة التى تدين اليهود والصرب ومساندتهم لعدم تنفيذها منذ عام ١٩٤٧م حتى الآن[1] !

- التدخل فى الصومال وتمزيقه وإشعال النار بين قبائله وكذلك الأمر

---

(١) استخدمت الولايات المتحدة حق النقض (الفيتو) لصالح الكيان اليهودى الغاصب ٢٤ مرة حتى ديسمبر ٢٠٠٠م!

فى السودان لإقامة دولة عازلة بين العرب والأفارقة فى جنوبه، وخنق مصر وتهديد منابع النيل الذى هو شريان الحياة فى البلدين!

– تحريض أكراد العراق للانفصال ومحاربة أكراد تركيا لعدم الانفصال!

– تدمير العراق فى أكثر من حملة عسكرية همجية وتجريب أحدث الأسلحة الكيميائية والبيولوجية على شعبه!

السجل مليء بالسلوك الإجرامى للولايات المتحدة، ومواجهة هذا السلوك ممكنة بعزل الولايات المتحدة، شريطة أن تستند الحكومات المعنية على إرادة شعوبها الحرة، وبدون هذه الإرادة الحرة فلن تستطيع عمل شيء، اللهم إلا المزيد من الخنوع والاستكانة والاستسلام للشيطان الأكبر!

يجب أن نعترف أن الدولة الوحيدة التى استطاعت مواجهة الولايات المتحدة مع ضعف إمكاناتها بالمقارنة بإمكانات أمريكا، هى الجمهورية الإسلامية فى إيران لأنها امتلكت – حكومة وشعباً – إرادة حرة واضحة، ترفض الانصياع للهمجية الأمريكية وتجلياتها البشعة، لقد تعرضت إيران للحصار والتحريض الذى وصل إلى الحرب التدميرية الطويلة الأمد، والحملة الدعائية السوداء عبر الآلة الإعلامية الغربية المهيمنة، ولكن إيران الإسلامية نجحت فى الصمود والتصدى، وحققت اكتفاء ذاتيا فى السلع الأساسية وخاصة القمح، وواصلت مسيرة الحرية والعدل للحكومة والشعب جميعاً!

إن الولايات المتحدة ومعها الحكومات الغربية تحتاج إلى العرب والمسلمين والعالم الثالث ودول عدم الانحياز بوصفها:

١- سوقًا مفتوحة ومضمونة (من وجهة نظرها) للمنتجات الصناعية والزراعية والسيارات والأدوات الكهربائية والإلكترونية والطبية والأدوية، فضلاً عن المنتجات السينمائية والتلفزيونية.

٢- مصدرًا أساسيًا للطاقة والوقود والمعادن (البترول، الغاز الطبيعى، الذهب ، الماس، المنجنيز، النحاس. .)وبعضها لا تستطيع الولايات المتحدة الإستغناء عنها سواء من خلال استراتيجية عامة، أو الشركات متعددة الجنسيات.

٣- مجالات حيوية للهيمنة العسكرية والسياسية والثقافية، من خلال توريد السلاح ونهب الخزائن، وإقامة الحكومات الموالية، وتنصيب النخب المتأمركة، وضمان العمق الاستراتيجى فى مواجهة الخصوم المحتملين (التنين الأصفر - الدب الروسى - اليابان والهند . .).

ومن ثم فإن الدول العربية لو أخذت على عاتقها البدء فى عزل الولايات المتحدة، بفض الاشتباك معها اقتصاديا وسياسيًا وعسكريًا توقف التصدير والاستيراد، وتخرج من دائرة الدولار وتراجع موقفها من الامم المتحدة بالانسحاب أو التجميد للعضوية، وترفض قرارات الحصار على بعض الدول العربية. . إلخ، فإن الأمر سيختلف تمامًا، وستصغى الولايات المتحدة لكل صوت ينطلق من المحيط إلى الخليج، وستنفذ قرارات الأمم المتحدة على اليهود والصرب، قبل أن تطبقها على العرب والمسلمين وحدهم بمنتهى القسوة والوحشية، وستفكر ألف مرة قبل أن تتخطى الشرعية الدولية وقوانين مجلس الأمن!

بالطبع فإن ذلك كله مرهون بالإرادة الشعبية الحقيقية التى تأتى بحكومات حقيقية عبر انتخابات حرة ورغبة صادقة مشتركة بين الشعب وإدارته فى التصدى للبلطجة الأمريكية، وإقامة وطن عزيز على أهله وناسه وأمته.. وعندئذ سيكون لأبسط الأفعال أقوى التأثيرعلى أمريكا، ومن يلوذ بها!

إن عزل أمريكا مسالة ممكنة لو أراد العرب والمسلمون وغيرهم.

النواب الكويتيون والمدفع الأمريكى!

استطاع النواب فى مجلس الأمة الكويتى أن يوقفوا صفقة مدافع امريكية مشبوهة، وأن يكشفوا فساد العديد من صفقات السلاح «الفاسد» التى وقعتها الحكومة مع الولايات المتحدة الأمريكية بما فيها من غش وعمولات.

النائب «مبارك الدويلة» من الحركة الإسلامية، قاد الحملة فى مجلس الأمة ضد «المدفع الأمريكى» الذى لا يتجاوز مداه ثلاثين كيلو متراً، فى الوقت الذى يتفوق عليه مدفع جنوب أفريقيا ومدفع بريطانيا ومدفع الصين بالترتيب.

وأشار النائب «عدنان عبد الصمد» أن صفقة المدفع الأمريكى الفاسد تشبه صفقة الصواريخ «سى سكوا» التى وصلت تكلفتها إلى نصف مليار دينار كويتى بعد التعديلات، ومع ذلك اتضح أن الزوارق التى تحمل الصواريخ غير صالحة للعمل ولا تفى بالشروط!

وتحدث النائب المذكور عن ضرورة المساءلة السياسية للحكومة وإلا فإن الصفقة الفاسدة ستستمر، وستمر بشكل طبيعى!

وواقع الأمر أن المشكلة تتجاوز صفقة «المدفع الأمريكى» أو الصواريخ «سى سكوا» الفاسدة، إلى حالة من التسيب تشمل العالم العربى، والخليج خاصة حيث تكثر صفقات السلاح التى تستنزف كثيراً من أموال العرب وتصب فى الاقتصاد الغربى - الأمريكى خاصة - لتشغيل المصانع،

ومعالجة مشكلة البطالة وفى الوقت ذاته، فإن عائد هذه الصفقات بالنسبة للجيوش العربية محدود، إما لسوء الأداء، أو محدوديته، وإما لعدم وجود قطع الغيار التى يترتب على انعدامها تحويل السلاح إلى مجرد قطعة من الحديد الصدئ لا قيمة لها سواء كانت طائرة أو بندقية!

إن الغرب الصليبى حريص على أن تظل الأمة الإسلامية - عربا وعجما- فى أحط الأوضاع الدفاعية، فى الوقت الذى يزود فيه العدو اليهودى بأحدث إنتاج تسليحى، وأحدث أجهزة الحاسبات الآلية ليحطم الآلة العسكرية الدفاعية لدى العرب والمسلمين.

لا يتورع الغرب الصليبى عن بيع أسلحته المتهالكة غير الفعالة للعرب والمسلمين، واستنزاف أموالهم ومدخراتهم، دون أن يهتز له جفن، ويعتمد فى ذلك على مجموعة من السماسرة وأصحاب المصالح فى كل بلد لتمرير هذه الصفقات، وضرب عصفورين بحجر واحد، تصريف الخردة والاستيلاء على النقود..

وإذا توقفت الصفقات راح الغرب الصليبى يشعل النيران بين الأشقاء ببث العداوة بينهم، معتمداً على إثارة الأحقاد والعصبيات والطائفيات والعرقيات، لاستهلاك الخردة واستهلاك العملة فى آن واحد.

وقد وقعت دول الخليج منذ عاصفة الصحراء، صفقات تسليح عديدة بلغت عشرات المليارات من الدولارات، استنزفت دخلها من البترول بالإضافة إلى المدخرات، لدرجة أن بعض هذه الدول مد يده ليقترض من البنوك المحلية أو الأجنبية أو الشقيقات العربية التى لديها بعض الفائض..

والأسئلة حول جدوى هذه الصفقات عديدة ولا تنتهى ومع ذلك فالصفقات مستمرة والاستنزاف قائم.. لماذا؟

ومن المفارقات أن هذه الصفقات كانت تتم على أنغام ذبح المسلمين فى البوسنة والهرسك وفلسطين وكوسوفا وكشمير! وكلما ازدادت المذابح بشاعة هبط وزير دفاع صليبى أو وزير خارجية صليبى إلى مطار عربى ووقع عقداً أو تسلم شيكًا بالمليارات، وغادر إلى بلده سعيداً مغتبطاً، وشهداء المسلمين وجرحاهم يضرعون إلى الله أن ينتقم من الظالمين!

قد يقول قائل: يا قوم لماذا لا تصنعون أسلحتكم والمال بين أيديكم والخبرة لا بأس بها والعمالة متوفرة؟ لا إجابة..

وقد يقول قائل: لماذا يا قوم هدمتم هيئة التصنيع الحربى العربية التى كانت تعمل تحت علم الجامعة العربية فى غمضة عين بمجرد أن ذهب السادات إلى القدس، وكثير منكم الآن يطرق الباب اليهودى فى خشوع وضراعة لينفتح أمامه؟

إن الطوفان يستعد ليكسح الجميع، ويلقى بهم فى قاع البحر المحيط حيث لا يبقى أثر ولا تاريخ، وهو ما يستدعى التفكير جيداً فى التعامل مع الغرب الصليبى، صانع الطوفان والبحر المحيط معًا!

لقد آن الأوان للبحث عن بدائل لإنهاء عهد الرضاعة من «ماما أمريكا» وكفالة بابا «الغرب الصليبى» فى شتى المجالات الاقتصادية والصناعية والعسكرية والسياسية والتجارية والزراعية والثقافية وغيرها، والبدائل بالتأكيد موجودة ومتنوعة، ومن بينها الاعتماد علي النفس، والتعاون فيما

بين الأشقاء، والأنداد الذين يؤمنون بالتبادل غير الأنانى وغير الشرير.. إن كل الظواهر والسلوكيات الغربية تؤكد على صليبية الغرب وهمجيته وعدوانيته وعنصريته، منذ تدفقت الجموع المجرمة وراء بطرس الحافى فى سانت مونت كلير ١٠٩٥م، حتى اليوم والغد مروراً بحملة نابليون والحملات الاستعمارية الأخرى على البلاد العربية، واغتصاب فلسطين على يد العصابات اليهودية الآثمة!

إننى لا أدعو إلى قطيعة غبية، ولكن أدعو إلى فك الارتباط مع الغرب الصليبى وإرادته، لنكون بحق أحراراً فى إرادتنا واختيارنا، ولتكن الندية والمصلحة الحقيقية المتبادلة أساس تعاملاتنا وحركتنا.. إن موقف نواب مجلس الأمة الكويتى يعبر بحق عن رغبة إسلامية أصيلة، وجد فرصة التعبير عن رغبتها فى أكثر من موقع، وأكثر من بلد ولكنها لا تجد فرصة التعبير عن نفسها، فهل يستطيع المعنيون بالأمر أن يساعدوا أمتهم على إعلان اختياراتها لتكون سنداً لهم فى مواجهة الأعداء والمتربصين؟.

صليبيون.. وقتلة!

صارت إبادة المسلمين فى أكثر من موقع عالمى هدفًا شريراً تنفذه قوى الإجرام الصليبى أو الوثنى دون أن تخشى عقوبة أو تشعر بتأنيب ضمير..

فالمسلمون صاروا فى زماننا «قصعة الأمم» كما تنبأ البشير النذير عليه الصلاة والسلام، وتحولوا إلى غثاء كغثاء السيل، عددهم كثير لكن هيبتهم ضائعة، ونفوذهم محدود، وبأسهم بينهم شديد! ولم يعد المرء بقادر على ملاحقة ما يحدث للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها من فواجع ومآس دامية، تكسر القلب وتزهق الروح..

بالأمس قام الصليبيون الارثوذكس الصرب بإبادة شعب البوسنة المسلم فقتلوا ما يقرب من ربع مليون مسلم، واغتصبوا خمسين ألف امرأة مسلمة، وشردوا ما يزيد على المليون مسلم، غير الأسرى والمعاقين، والبيوت المدمرة والمساجد المهدمة والآثار المنهوبة والمكتبات المحترقة.. ووقف الغرب الصليبى أمام المحنة العاتية الدامية يضحك على المسلمين العاجزين فى شتى أنحاء العالم ويعزيهم بكلمات فارغة حتى يفرغ الصرب الصليبيون المتوحشون من مهمتهم فى تفريغ أوروبا من دولة مسلمة صغيرة! ثم عندما لاحت بوادر المقاومة من مسلمى البوسنة، أرغمهم على اتفاقية «دايتون» التى تفرض عليهم الاستسلام والتفريط فى ثلاثة أرباع وطنهم ومشاركة القتلة فى الحكومة ومكافأة المعتدين بامتيازات رسمية!

واليوم يعود الصليبيون الأرثوذكس الصرب بقيادة مجرم الحرب « ميلودان سلوفيتش »[(١)] رئيس صربيا الكبرى لممارسة عملية الإبادة ضد شعب كوسوفو المسلم، وتجريد حملات بوليسية في حماية الجيش الصربى المدجج بالطائرات والدبابات والمدفعية لهدم القرى المسلمة فى كوسوفو على رؤوس أهلها، وقتل الأبرياء رجالاً ونساء وأطفالاً . .

وتصر الآلة الدعائية الغربية على وصف الضحايا بأنهم المنحدرون من أصل ألبانى، إخفاء لهويتهم الإسلامية، ويا للعار تتابعها وسائل الدعاية العربية والإسلامية، فتصف المسلمين في كوسوفو بالمنحدرين من أصل ألبانى! وكأنهم يستحقون الموت لانتمائهم إلى ألبانيا!

إن كوسوفو المسلمة تقع تحت الاحتلال الصليبى الصربى منذ سنوات طويلة، ويخضع أهلها منذ الفترة الشيوعية لقمع واضطهاد لا مثيل لهما، مع أنهم يشكلون الأغلبية الساحقة من السكان (أكثر من ٩٠٪) فإنهم لا يملكون من أمرهم شيئاً، لا يحكمون بلادهم ولا يقررون مصيرهم، ولا يخططون لمستقبلهم لأن الصليبيين الصرب سلبوهم كل شئ وحولوهم إلى عبيد يؤمرون فيطيعون .

ومع أن كل دول يوغوسلافيا السابقة قد تحررت واستقلت (خاصة الدول الكاثوليكية) فإنه – باتفاق ضمنى دولي – محرم على المسلمين أن يستقلوا أو يعيشوا بكرامة مثل بقية الشعوب، ومن يحاول الاستقلال

---

(١) تم إسقاط ميلودان سلوفيتش وتحويله إلى محكمة جرائم الحرب الدولية فى لاهاى، بعد اتفاق الغرب مع القوى السياسية فى يوغسلافيا (صربيا) .

فمصيره مصير البوسنة.. لذا لم يحتمل الصليبي المجرم «ميلودان سلوفيتش» أن يتحدث زعماء كوسوفو المسلمون عن رغبتهم في الاستقلال والحرية، ووجه إليهم جيشه العرمرم ليحصد الأبرياء العزل.. ثم يصفهم بالإرهابيين!

ومع أن الدول الأوروبية وأمريكا، قد أعادوا التمثيلية القديمة التى ألفوها فى أثناء تدمير البوسنة وذبح أهلها فأسمعوا العالم بيانات واستنكارات ورغبة فى فرض العقوبات الاقتصادية على بلجراد، فإن الصليبى المجرم لا يأبه لشيء من ذلك بل يسخر منه ويواصل خططه فى إخضاع المسلمين لإرادته وهيمنته..

لقد أخفق مجلس الأمن فى اتخاذ قرار ضده أو فى التدخل لحماية المسلمين لأن الدول التى تؤيده سراً وعلناً تريده أن يستمر فى تطهير أوروبا من المسلمين وتبارك خطاه وتمده بالسلاح والعتاد[1]..

لقد أيدته روسيا الأرثوذكسية علنا ورفضت تدخل أوروبا فى كوسوفو وهو موقف مشابه لموقفها من البوسنة حيث كانت روسيا الراعى الأول لإبادة المسلمين والداعم الأول لبلجراد فى الوقت الذى كانت تصب فيه الهلاك على أهل الشيشان وتواصل قهر المسلمين فى القوقاز.

ومن الغريب الذى لم يعد غريبًا أن ترفض الصين التدخل الأوروبى

---

(١) قامت الولايات المتحدة بحملة قصف جوية فيما بعد على معسكرات الجيش الصربى لإرغام ميلودان سلوفيتش على الخضوع لإرادتها وإثبات هيمنتها على البلقان، مما أدى إلى انسحاب الجيش الصربى من كوسوفو وتعيين إدارة دولية لها!.

أيضا وتصف الإبادة الإجرامية للمسلمين بأنها مسألة داخلية (!) وكان
إبادة المسلمين دائمـا مـسـألة داخليـة لا يجـوز لأحـد أن يوقـفـهـا أو
يستنكرها . . لقد قامت الصين بحملات إجرامية مشابهة لذبح المسلمين
فى تركستان الغربية (سينكيانج) وقهرت أهلها وحرمتهم من التعبير عن
عقيدتهم وكرامتهم، وهى اليوم تقف بجوار القتلة الصرب بحجة أنها
« مسألة داخلية ! » .

يا ويل المسلمين من مصاصى الدماء الذين يرتدون ثياب المسيح أو
العقلانية، والمسيح منهم براء، والعقل منهم برئ!

لا نقول – كما العادة – أين المسلمون على امتداد العالم؟! ولا نسأل
عن همتهم أو إرادتهم التى نفتقدها فى هذا الموقف وأشباهه؟ لأن الإجابة
معروفة . . ولعلنا أشرنا إليها فى بداية هذه السطور، فهم غثاء كغثاء
السيل، وشوكتهم موجهة إلى ذواتهم، وبأسهم بينهم شديد !! نسأل الله
أن يعصف بالظالمين وينصر المظلومين ويهدى المسلمين إلى الرشد بعد أن
تاهوا طويلاً فى دروب الضلالة والفرقة والأنانية والقسوة على بعضهم!.

اليهود والصرب!

ظهرت وتأكدت صليبية العالم الغربى الراهنة حيث أصر على إذلال العرب والمسلمين، وتطبيق قراراته التى تأخذ شكلاً قانونياً من مجلس الأمن الدولى، فحاصر شعب العراق إلى درجة الموت جوعاً دون أن يمس «صدام حسين» بأى سوء[1]، وحاصر شعب ليبيا من أجل قضية مشكوك فيها إلى درجة تكاد تحطم اقتصاده وتهدد كيانه فى الوقت الذى يترك فيه اليهود والصرب يذبحون المسلمين ويمارسون نازية أشدّ وحشية من نازية هتلر، دون أن يهتز له جفن أو يوخزه ضمير!

العرب الأشاوس والنشامى، والمسلمون المساكين مستسلمون لإرادة الصليبية الغربية بلا حدود ولا شروط، ويسمعون ما تمليه هذه الإرادة دون أدنى معارضة أو تحفظ، وينفذون الحصار الصليبى تنفيذاً دقيقاً منضبطاً، واليهود والصرب يصنعون مستقبلهم على أشلاء المسلمين وجثثهم دون خوف أو وجل.. ويجدون الدعم العسكرى بأحدث الأسلحة والصواريخ والغواصات، دون مقابل اللهم إلا حماية المصالح الصليبية وإذلال المسلمين!

إن اليهود لم ينفذوا قراراً واحداً من قرارات الأمم المتحدة منذ اغتيالهم لفلسطين عام ١٩٤٨م حتى اليوم، ولم ينسحبوا من أرض محتلة إلا بعد أن

---

(١) ظل الحصار قائماً حتى أنهاه الأمريكان باحتلال العراق وإسقاط صدام فى مارس / إبريل ٢٠٠٣م.

حصلوا على مكاسب تفوق استمرارهم ووجودهم بهذه الأرض.. ويجدون من بعض العرب، وخاصة المنظمة الفلسطينية بقيادة عرفات، تنازلات على مستوى الاستسلام والانبطاح.. وقد كان مضحكًا أن ينتظر عرفات حوالى سنتين ليوافق على ما قرره «النتن يا هو» بالانسحاب من ١٠٪ فقط من أرض الضفة الغربية نظير سحق منظمة «حماس» وقتل قادتها واستئصال المقاومة الفلسطينية الحقيقية للاحتلال اليهودى.. أما كان الأفضل الاستسلام قبل سنتين طالما كانت النهاية هى الاستسلام بعد سنتين؟ لقد تحدثت الصحف عن الانسحاب من نسبة ١٠+ ٣٪ أو ١٣ - ٣٪ أى ١٠٪ والثلاثة الباقية يسمونها محمية طبيعية تحت السيطرة اليهودية؟ ما معنى محمية طبيعية يا سادة؟ لماذا تضحكون علينا وعلى شعوبكم؟ لماذا لا تعلنون الاستسلام الشامل والكامل وتريحون وتستريحون.. على الأقل تكون لكم حقوق المستسلمين إذا بقيت حقوق؟(١)

إن العالم الصليبى بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية هو الذى صنع دولة الاغتصاب اليهودية، وأرضعها وغذاها بالخبز والسلاح ووقف إلى جانبها فى كل المشاهد، وشجعها على نقض الاتفاقيات، وزودها بأحدث أقمار التجسس وأحدث الطائرات المقاتلة، وقال لها: اضربى ولا تخافى، مع أن مصالحه كلها عندنا وليست عند اليهود، ومع ذلك فنحن مطمئنون إلى وساطة العالم الصليبى، ومؤمنون بأنه «سيضغط» و«يضغط» على «مهجة قلبه» دولة الاغتصاب اليهودية؟

---

(١) أعاد الجيش اليهودى الاستعمارى احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة بعد الانتفاضة الثانية.

هل لنا أن نعقل ونفهم إذا كنا نريد حياة كريمة عزيزة تليق بالمسلمين في كل مكان وزمان؟

إن مشكلة بعض العرب والمسلمين، هي إصرارهم على الارتماء في إحضان العالم الصليبي بوصفه المنقذ من الهوان.. ولكنهم يتناسون أنه صانع الهوان منذ بدء الحملات الصليبية عام ١٠٩٥م، مرورًا بالمرحلة الاستعمارية حتى وصلنا إلى العولمة واستنزاف المال الإسلامي في حروب داخلية بين المسلمين، أو في صفقات سلاح ضخمة شكلاً ضئيلة القيمة موضوعًا، أو في بنوكه ومصارفه التي تستثمر أموالاً إسلامية باهظة لا يعود منها على المسلمين شئ يذكر، لأن معظمها مسروق ومنهوب من الشعوب الإسلامية المستضعفة!

والأمر بالنسبة للصرب مطابق تمامًا، فالصرب سمحوا للدول الصليبية أو ذات القيادات اليهودية التي كانت مرتبطة بالاتحاد اليوغسلافي أن تستقل، فاستقلت جميعًا عدا البوسنة والهرسك وكوسوفو، وتشجع الصرب في إبادة المسلمين بلا رحمة وكانت البوسنة والهرسك هي البداية، حيث وقف العالم الصليبي يشاهد أبشع عمليات الإبادة التي عرفتها الإنسانية على مدى تاريخها الطويل واكتفى بتمثلية كوميدية يضحك بها على العرب والمسلمين الذين يحتمل أن يستنكروا ما يحدث لأشقائهم المسلمين في البوسنة والهرسك، وكانت التمثلية عبارة عن تهديدات «فشنك» للصرب وإسقاط بعض الأطعمة من الطائرات للمسلمين المحاصرين الباقين على قيد الحياة، ولكنها – يا للمفارقة – كانت تسقط في أرض الصرب، وحين بدأ المسلمون البوسنيون بعد ثلاث

سنوات يأخذون زمام المبادرة ويستعيدون بعض بلادهم المستباحة، تحرك العالم الصليبي بقيادة أمريكا لتهديد المسلمين المستباحين في البوسنة، وفرض اتفاقا ظالمًا تضيع بمقتضاه الدولة المسلمة في قلب أوروبا، وتتوزع إلى كانتونات يحكمها الصرب والكروات، وينسحب المسلمون إلى كانتون صغير في سرايفو!!

وبعد الفراغ من البوسنة جاء الدور على كوسوفو المسلمة (يصفها الإعلام الغربي ومعه الدعاية العربية : بالمواطنين المنحدرين من أصل ألباني!)، وتتكرر التمثيلية الكوميدية التي يضحكون بها على العرب والمسلمين، الآن اطمأنوا إلى صمت العرب والمسلمين وانشغالهم بتأميم المساجد وتدمير الأزهر وتجفيف المنابع وانتصار طالبان!، وبعد أن قام السفاح الصربي سلوبودان ميلوسيفتش بطرد نصف مليون مسلم خارج كوسوفو، وتدمير بيوتهم وقتل الآلاف وتحريم الإسلام على المسلمين في كوسوفو، نسمع تهديدات «فشنك» بضرب الصرب وقصفهم ولكن السفاح الصربي يتحدى ويستمر في حملة الإبادة دون أن يعبأ بمجلس الأمن الذي يحركه الصليبيون، ولا بالتهديدات الأمريكية لأنه يعلم جيداً أن ما يفعله العالم الصليبي تمثيلية كوميدية سخيفة، يقوم هو فيها بدور البطولة!

ترى لماذا يرضى المسلمون – أو حكوماتهم بمعنى أدق – بهذا الموقف الذليل الذي لا تجدى معه صرخات المنكوبين ولا دماء الضحايا ولا أشلاء الشهداء؟

اللهم اهد المسلمين إلى طريقك المستقيم!.

جريمة الصرب.. وخديعة الأطلنطى!

من المؤكد أن الجريمة الصربية ضد شعب كوسوفو المسلم، ما كانت لتتم لولا تواطؤ حلف الأطلنطى بقيادة الولايات المتحدة، حتى لو بدا أن هذا الحلف يهدف بمقولاته وقراراته وضرباته إلى تحرير الشعب المظلوم من قهر النظام الصربى الإجرامى العنصرى البغيض، والدليل على ذلك أن الحلف مع قيادته انشغل بثلاثة جنود أمريكيين اختطفهم الصرب من مقدونيا وأسروهم وقدموهم لمحاكمة عسكرية عاجلة.. قامت الدنيا ولم تقعد من أجل ثلاثة أفراد يعملون تحت لواء الأمم المتحدة فى المراقبة الدولية، ولكنها لم تقم ولم تقعد من أجل ثلاثة أرباع المليون مسلم، طردهم الطغاة الصرب من بيوتهم وقراهم ومدنهم التى احترقت تماماً، وهاموا على وجوههم فى الأحراش والغابات، وبين الثلوج وبين الجبال يحملون أطفالهم وعجائزهم الذين يموتون فى الطريق جوعاً وإنهاكاً وقهراً!

كل ما فعله الحلف القوى مع قيادته رصد عدد من ملايين الدولارات لتوفير بعض الأطعمة والمعونات لمن أصبحوا لاجئين (من أصل ألبانى) كما تسميهم أجهزة الدعاية الغربية!

القضية أن شعب كوسوفو المسلم المظلوم كان يحتاج لدعم كى يعيش على أرضه وتحت سمائه وفى بيوته وقراه ومدنه،وقد انتظر هذا الدعم طويلا من قوات الناتو التى جعلت نفسها « شرطى العالم » الذى يضرب بدون إذن من الأمم المتحدة أو القوانين الدولية،وقد تعاطفت المشاعر العالمية

مع تهـديدات الحلف للصـرب وانتظر الناس أن ينفـذ هذه التـهـديدات لتكسـر ذراع الطاغـيـة وتخلص المظلومين من ظلمـه وقـهـره وإبادته ونازيتـه،ولكن العكس هو الذى جـرى.. فـقـد استطالت هذه الذراع لتشمل جميع أنحاء كوسوفو ولا تتوقف عند جيش تحرير كوسوفو الذى يقـاتلهـا وحـده،لقـد امـتـدت لتطال السكان الأبرياء العـزل الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا.. وكلما تحدثت الأخبار عن القصف الجوى لدفاعات الصرب،ازداد سيل اللاجئين المسلمين وامتد لهيب الحرائق لتقضى على الأخضر و اليابس فى كوسوفو المسلمة،حتى كادت تفرغ الدولة الإسلامية المقهورة من أهلها تماما مما يوحى أن سفاح الصرب قد انتصر وحقق أهدافه بفضل ضربات حلف الأطلنطى! والأحداث تشير إلى أن هؤلاء السكان اللاجئين الذين انتزعت هوياتهم وأوراقهم الثبوتية عند مغادرتهم كوسوفو لن يعودوا إليها أبدا،وأنها صارت للصرب إلى الأبد! فهل كان حلف الأطلنطى يعلم ذلك قبل بداية هجماته ؟ ولماذا لم يلجأ إلى وسائل أخرى كانت أكثر جدوى على فرض أنه لا يحبذ الاشتراك بقوات برية ودبابات،ومنهـا دعم جيش التحـرير الكوسـوفى وتسليح السكان وإمداد الحكومة الكوسوفية بمدرعات ودبابات وطائرات مروحية أو هليكوبتر ؟

ولماذا لا تعترف دول الحلف باستقرار كوسوفو وحكومتها المنتخبة وتفرض الحصار الاقتصادى والعسكرى والدبلوماسى على حكومة الصرب كما فعلت مع العراق منذ ثمانى سنوات؟ إن الغارات العسكرية لحلف الناتو لن تحرر كوسوفو ولن تنصف شعبها ولكنها أتاحت وتتيح الفرصة

لطاغية الصرب كى يطهر أوروبا من بقعة إسلامية أخرى مثلما فعل من قبل فى البوسنة، والدليل على ذلك هو التعاطف الغلاب الذى حظى به الطاغية من قطاعات كبيرة فى كندا وإيطاليا وبريطانيا والولايات المتحدة، فضلاً عن العالم الأرثوذكسى بأكمله (روسيا، اليونان، بيلوروسيا ودول الاتحاد السوفيتى المنحل).. بل إن دولاً عربية وإسلامية مثل العراق وليبيا وباكستان قد أيدت الطاغية، وكان مثيراً للعار أن يتحدث شخص عراقى فى إذاعة لندن العربية ليؤكد على أن كوسوفو مشكلة حربية داخلية! لقد اختلطت الأمور وساحت الأفكار وتاهت الخيوط أو تشابكت ولكن الشئ الوحيد المؤكد هو ضياع الشعب المسلم فى كوسوفو واستلاب أرضه تحت أعين الجميع وأبصارهم بفضل ضربات الأطلنطى! ثم إن الصرب سيعوضون خسائرهم العسكرية بأسرع ما يمكن من روسيا وغيرها![1]

الناس يحلمون أن تتحرك قوات الحلف البرية وتدخل كوسوفو.. ولكن هذا فيما يبدو ضرب من المستحيل لأن الذى يجزع من أجل ثلاثة جنود أسرهم الصرب لا يستطيع أن يدفع عدة آلاف ليدخلوا كوسوفو.. بل إنه لن يستخدم الطائرات المضادة للدبابات والدروع لأن الصرب اتخذوا ألوفا من المسلمين بوصفهم دروعًا بشرية فى مواجهة أى طيران معاد!

لا شك أن المسلمين والعرب قبلهم، قد تخاذلوا وتنكروا لإخوانهم فى

---

(١) الدرس المستخلص من كوسوفا يظل قائمًا بعد توقف القتال وتعيين إدارة دولية، وسقوط السفاح الصربى وتقديمه للمحاكمة!

البشرية على الأقل ولم يقوموا بواجب النخوة والنجدة ولم يستفيدوا من دروس البوسنة وقبلها فلسطين، وانكفأوا على ذواتهم وأنفسهم وصموا آذانهم وأغلقوا عيونهم أمام صراخ المظلومين ومذابحهم وتهجيرهم، وكان من العار أن يسارع العدو اليهودى إلى إرسال أول طائرة إغاثة إلى الحدود بين كوسوفو ومقدونيا لمعونة اللاجئين قبل أية دولة عربية أو إسلامية، بل إن السفاح نتنياهو كان أول مسئول فى الشرق الأوسط يندد بالمأساة التى تحدث على أرض كوسوفو المسلمة قبل أى مسئول فى هذا الشرق التعيس!

والسؤال هو: لماذا تفعل حكوماتنا العربية المسلمة هذا وكل الدلائل تشير إلى أن الدور قادم على الجميع فى صورة وأخرى، ولماذا لا تترك حكوماتنا الشعوب العربية المسلمة تقوم بواجبها طالما كانت مغلولة اليد واللسان ومغلقة العيون والآذان؟

إن الجريمة الصربية وخديعة حلف الأطلنطى القادمة درس عملى لمن يعتمدون على الغير ولمن يأمنون للطغاة والعنصريين والنازيين والمتوحشين.. فهل نستفيد نحن العرب والمسلمين من هذا الدرس ونبنى أنفسنا على أسس الحرية والعدل والشورى والقوة؟

مجد العثمانلى . . وعار الخونة !

لا شك أن غضبة الأستاذ « عباس الطرابيلى » من أجل سورية الشقيقة فى مواجهة عدوان « الجندرمة » التركية، هى غضبة مشروعة ومطلوبة من كل عربى وكل مسلم يحرص على الدماء الإسلامية التى يحاول الأعداء إهدارها لسبب وآخر ويعملون من أجل استمرار الإهدار بكل الطرق والوسائل، وما جرى فى البوسنة وفى كوسوفو وما حدث بين العراق وإيران، والعراق والكويت، وطالبان والمعارضة ليس ببعيد[1] . .

شملت غضبة الأستاذ عباس التاريخ العثمانى ووضعه مع تاريخ الأتاتوركية فى سلة واحدة، وصار مجد العثمانلى موضعًا للغضب الساطع أيضا، والحقيقة أن مجد العثمانلى الذى ترفضه الأتاتوركية رفضًا قاطعًا حقق إنجازًا عظيمًا فى حماية المسلمين على مدى خمسة قرون منذ دخل محمد الفاتح استانبول (مدينة الإسلام) وحقق أمنية الصحابى المجاهد الجليل أبو أيوب الأنصارى حتى السلطان عبد الحميد آخر خلفاء بنى عثمان، فمع وجود سلبيات عديدة وشذوذ فى تصرفات بعض السلاطين كما فى حالة السلطان سليم الذى قتل بعض أشقائه وأعدم سبعة عشر من معاونيه (وزرائه) واقترف كثيرًا من آثام الاستبداد والظلم

---

(١) عباس الطرابيلى، رئيس تحرير جريدة « الوفد » ومقاله كان بمناسبة تحرش تركيا وتهديدها لسورية بخصوص وجود زعيم الأكراد الأتراك « عبد الله أوجلان » على أرضها.

وقتل الأبرياء، فإن الدولة العثمانية التى زحفت إلى قلب أوروبا وجاءت عوضًا عن هزيمة المسلمين الساحقة فى الأندلس وتعرضهم للإبادة ومحاكم التفتيش الصليبية استطاعت أن تحمى العالم الإسلامى من مطامع العالم الصليبى وهمجيته المتوحشة، وفرضت هيبتها وهيمنتها على طلائع هذا العالم خاصة إنجلترا وفرنسا وروسيا، وأذاقت الأخيرة هزيمة مريرة فى أوساط القرن التاسع عشر فى حرب القرم المشهورة التى حضرها رائد الشعر الحديث «محمود سامى البارودى» وشارك فيها وأشاد بالانتصار العثمانى مع غيره من شعراء تلك الفترة، وقد وصلت الهيبة العثمانية إلى أن سفراء الغرب لدى استانبول كانوا لا يستطيعون مقابلة السلطان العثمانى إلا بعد شهور عديدة من طلب المقابلة التى تكون قصيرة فى العادة!

كانت مشكلة الدولة العثمانية تكمن فى إغفالها الجانب الحضارى والذى قامت على أساسه وازدهرت دولة الأمويين ودولة العباسيين، وانصرفت إلى الجانب العسكرى وحده مع ما يتطلبه من استبداد فى التنفيذ، فكان ذلك وبالاً عليها وعلى الشعوب المنطوية تحت لوائها، فتخلف الأتراك والعرب والفرس والأكراد، وصاروا قصعة الأمم، واستطاع العالم الصليبى أن يعمل جيدًا للقضاء على الدولة العثمانية وتمزيقها ووراثتها وإحلال خدامه فى موضع زعامتها، ومع غياب العدل والحرية ازدهرت جمعية الاتحاد والترقى التى رعتها الدول الصليبية واليهود، وجاء زعيمها «مصطفى كمال أتاتورك» المشكوك فى أصله ونسبه ليلغى الخلافة ويلغى الإسلام ويلغى اللغة العربية ويلغى الطربوش ويلغى كل ما

يمت إلى الحضارة الإسلامية بصلة، ويعلن ولاءه المطلق للعالم الصليبى، ويؤسس دستوراً يقنن كل خطواته ووصل به الأمر إلى التأهب لإعلان تركيا دولة مسيحية، ولكن سفراء أوروبا أقنعوه بتأجيل ذلك!

تركيا التى كانت تقود العالم الإسلامى تعرضت للمذابح على يد أتاتورك «المتأورب» وكانت المشانق فى ميادين المدن والقرى التركية مثل الأراجيح، كما شبهها أحد الأدباء الأتراك، وكانت حرب استئصال الإسلام على قدم وساق، فمات خلق كثير وعلماء كثيرون وهرب ناس كثيرون.. وتكونت نخبة جديدة أو خاصة فى قيادة الجندرمة بلا دين ولا خُلق تأتمر بأمر العالم الصليبى وتولى وجهها شطره وتتشرب تصوره ورؤاه، فقطعت علائقها السياسية والثقافية والاجتماعية مع العرب والفرس والأكراد، بل إنها اصطنعت العداء معهم جميعًا وحالفت خصومهم وتآمرت عليهم حتى وصل بهم الحال إلى التحالف مع العدو اليهودى تحالفًا استراتيجيا يهدد بالقتال والعدوان ويرسل بالإنذار تلو الإنذار!!

كان السلطان عبد الحميد – آخر السلاطين – يرفض أن يوافق على منح اليهود جزءًا من فلسطين فى الوقت الذى تكاثرت فيه ديون الدولة العثمانية وعرض اليهود تسديدها مقابل مطلبهم الآثم، ولكن السلطان – غفر الله له – رفض رفضًا قاطعًا فهاجت الجموع بقيادة الاتحاد والترقى ضده، وذهب إلى منفاه باكيًا حزينًا ليس على فلسطين وحدها ولكن على الأتراك والعرب والأكراد وغيرهم!

كان من أدبيات التتريك الذى اصطنعه الخائن أتاتورك، التأصيل لقيام نخبة عسكرية وفكرية تقاوم الإسلام باستمرار، وقد نجح فى ذلك نجاحًا

منقطع النظير فكلما استعاد الشعب التركى وعيه بالإسلام تسلطت عليه الجندرمة وفرضت عليه الغيبوبة، فعلت ذلك مع عدنان مندريس وفعلته مرتين مع نجم الدين أربكان، وستفعله مع حزب الفضيلة (١).. وكل حزب آخر يعود بتركيا إلى إسلامها أو «مجد العثمانلى»!

لقد فرضت أدبيات التتريك القطيعة مع ماضى الدولة العثمانية المجيد بل تحظر ذكر هذا الماضى! ويبدو أن العالم الصليبى أسعده نجاح هذا التتريك، فصنع نخبا أخرى عربية تفعل ما تفعله الجندرمة ومثقفوها بالشعوب العربية وهو ما نراه ساطعًا فى أكثر من بلد عربى الآن!

لو كان أربكان فى الحكم ما جرى تهديده لسورية أو للأكراد، لأن منطق الإسلام يختلف عن منطق الخونة الذين باعوا تاريخهم ودينهم وقبلوا أن يكونوا خدامًا حقراء للعالم الصليبى.. ولكنهم عصفوا بأربكان وشاركهم فى السخرية من أربكان بعض العرب!

إن الأكراد شعب مسلم له حقوقه ومصالحه يجب الاعتراف بها ولكن «الجندرمة» تنفذ مشيئة العالم الصليبى فى تشتيت هذا الشعب المظلوم وإهدار دمه وسحق كرامته.. لماذا؟ هل لأن «صلاح الدين الأيوبى» محرر القدس من الصليبيين القدامى ينتمى إلى الشعب الكردى المجاهد؟ ربما!!

ولعل الأستاذ عباس يتفق معى أن مجد العثمانلى.. يختلف عن عار الخونة؟!.

---

(١) قام العسكر الأتراك بحل حزب الفضيلة، وتقديم بعض زعمائه للمحاكمة بعد ذلك، ويهددون بحل الحزب الجديد الذى تشكل على أنقاض الفضيلة.

الطبقة المتوحشة والهزيمة الداخلية!

حيا الله الصحافة والأقلام الحرة التى بحثت عن حق كاد يطمسه الباطل ودافعت عن قيم نبيلة كاد يسحقها التوحش والضلال، وحيا الله كل حرف متوضئ يسعى لإظهار الحقيقة فى عصر الصمت والبهتان.. ولا حيا الله الأقلام المرتعشة الخائفة الخانعة التى تداهن وتتملق وتهون من الخطير وتضخم من الهين.. ولعنة الله على الكذبة الذين يسعون لطمس الحقائق وإرهاب من يظهر الحق ويعمل على إعلائه.

كان الطالب غريق مارينا(1)، نموذجا صارخاً لما وصلت إليه الحال بالطبقة الجديدة المتوحشة التى ترعرعت فى المنبت السوء على مدى نصف قرن تقريباً، فقد قتلته هذه الطبقة بوحشية وحاولت طمس الحقيقة ووجدت فى بعض الأقلام حليفاً طبيعياً يدافع عنها بدعوى أن الصحافة حكمت على المتهم قبل أن يصدر حكم القضاء!

والسؤال هو: هل كان هناك أصلاً متهم لو لم تتكلم الصحافة والأقلام الحرة؟

وهل كتب أحد جملة واحدة ضد المتهم؟ إن ما حدث هو أن الصحافة قامت بواجبها وتساءلت عمن قتل الطالب بلنش – مرخص أو غير مرخص لا يهم – ثم اختفى ولم يتكلم ولم يتقدم أحد ممن شاهدوه أو رأوه يشج

---

(1) غرق أحد الطلاب على شاطئ «مارينا» بعد أن صدمه صبى يركب مركبة مائية سريعة وتكتم المعنيون الأمر.

رأس الغريق أو يشطرها، لقد فعلها فلان! الصحافة تكلمت وطلبت ممن يملك الشجاعة الأدبية أن يدلى بشهادته ويتحدث عن الحقيقة ولا شئ غير الحقيقة.. فتقدم بعض الشجعان وتكلموا وصار الكلام للقضاء!

وكان الأولى بمن يعنيهم الأمر أن يتحركوا قبل أن تتحرك الصحافة أو غيرها، بدافع الضمير الإنسانى الذى يجعل صاحب الضمير يشاطر الآخرين مآسيهم وآلامهم، قبل أن يشطر رؤوسهم أو وجوههم!

ولعل الأمر لو تم على هذا النحو بترضية أهل الضحية - ولو بالكلام الطيب - ما كان رأى عام يطلب الحقيقة ولا صحافة تبحث عنها ولا قلوب ممزقة تدعو على الظالم أن يحرق الله قلبه فى أعز ما يملك.

إن أحداً يعرف ربه لا يحقد على من يملكون كنوز الأرض، ولا يتمنى لهم السوء ما داموا قد جمعوا أموالهم بطريق حلال، وتعاملوا مع الناس بما يفرضه الحلال، وسلكوا سلوكًا متحضراً يبتعد عن الافتراء والتوحش وظلم العباد!

وللأسف الشديد فإن نصف قرن مضى صنع طبقة متوحشة بشعة - قد لا يكون المتهم من بينها - أحالت حياة مصر إلى ظلام كريه وأحاطت بالقيم النبيلة وعبثت بالمثل الرفيعة لصالح المال والقوة - أو البلطجة بمعناها الآخر - وما «مارينا» إلا رمز أو حصاد لهذا الظلام الكريه الذى تنافس فيه المال الآتى بطرق سهلة كى يحقق لأصحابه أحط المتع الحسية مقرونة بقيم الأنانية والمظهرية والتوحش وسحق الضعفاء! إن حرمان الشعب المصرى من الحرية الحقيقية أتاح الفرصة للمتسلقين

والمنافقين والضعفاء ليسيروا أموره فى الحياة اليومية والتعليمية والثقافية، فتحطمت قيم عزيزة وأخلاق عالية، وصار المثل الشعبى «اللى معه قرش...» هو الدستور الذى يحكم الحياة الاجتماعية ويكرس واقعًا شائها لا مجال فيه للتمايز الحقيقى أو الإبداع المتميز وصار اليأس والإحباط من السمات العامة التى يلحظها أى مشاهد على جبين أى مصرى.. فما أكثر العضون وما أكثر الكشارة وما أكثر الاكتئاب الذى يشكل قسمات الوجوه والملامح والسحن! لماذا؟ لأن الإحساس بفقدان الحرية وفقدان العدالة وفقدان الأمل، من أخطر الأمراض التى تؤذن بانهيار المجتمع.. والهزيمة الداخلية! إن المصريين مطالبون من الطبقة المتوحشة التى سيطرت على الاقتصاد والتعليم والثقافة والسياسة والمحليات والمناصب الإدارية العليا والوسطى والسفلى أن يحمدوا الله على وضعهم الحالى وأن ليس فى الإمكان أبدع مما كان.. فنحن فى أزهى العصور فى كل شئ! والعالم كله يشيد بنا وبخطواتنا السريعة فى مجال البناء الحضارى!.

لذا فإن اليائس المحبط سواء من أبناء الطبقة الجديدة أو الطبقات القديمة التى صارت فى حضيض السلم الاجتماعى، لا يجد أمامه من القيم التى يؤمن بها ويملأ بها فراغه غير عبادة الشيطان أو «البرطعة» ضد خلق الله المسالمين أو الانسحاب إلى اليأس والتقوقع على الذات أو الاستسلام لما يراد منه مسخًا شائهًا يهتف بالروح.. بالدم!

لقد صار عباد الشيطان وأصدقاء السوء ورفاق الانحلال وجماعات البلطجة أقوى وجوداً فى الساحة الاجتماعية بعد أن انتهى دور الاستقامة والمثل الأعلى وأصدقاء الكفاح وزملاء الجهاد وطلائع التحرر الوطنى!

من يســتطيع أن يبنى وطنا - كــمــا يفــعل الآخــرون فى أوطان مستحدثة- والمناخ العام يحطم آماله ويهز ثقته ويزلزل عقيدته إن بقيت له عقيدة؟!

إن الهـزيمة الداخلية أخطر على الأمة من الأعداء الخارجيين وقنابلهم النووية، لأن المواطن، شابًا أو شيـخًـا، لا يملك إرادته ولا حـريتـه ولا كرامته!! إن فقدان العدالة الاجتماعية وضياع الضمير الدينى وسيادة البلطجة (بكل أنواعها) لهى عوامل هدم وتخريب وتدمير، وما الطبقة الجديدة المتوحشة إلا بداية الحصاد لهذه العوامل الشريرة!

إن طبقة يلهو أبناؤها إلى درجة الفجور، ويجدون المناصب الممتازة تنتظرهم فور تخرجهم، كما يجدون من يتطوع للدفاع عنهم وتبرئتهم مقدمًا، فى الوقت الذى تزداد فيه جيوش العاطلين، وتضيق الحياة على الجادين المجدين المستقيمين، وتتوالى المصائب والمحن على كل راغب فى المشاركة من أجل بلده ووطنه، لدليل يقود إلى الهزيمة الداخلية فى أجلى معانيها مما ينذر بما لا تحمد عقباه وما لا يرضاه ذو ضمير لشعبه أو أمته..

فهل نتراضى على الحرية والعدالة والكرامة للجميع؟.

الحراك الاجتماعى وحلفاء الشيطان!

الحراك الاجتماعى مصطلح يعنى تبادل الطبقات فى المستوى والمكانة ارتفاعا وانخفاضا ويجرى عادة فى المجتمعات التى تتعرض لتجارب إنسانية أو اجتماعية عنيفة يصنعها الغير أو يقوم بها بعض أبناء المجتمع بالوكالة، فتتغير الصور والملامح والقيم والمثل السائدة، وتحل أخرى مكانها لتصنع طبقة مكان طبقة، أو تحدث تأثيراً عاماً يصيب المجتمع كله فى خلاياه وشرايينه فينفصل عن سياق التطور (الطبيعى) إلى سياق آخر (غير طبيعى) قد يورده موارد الهلاك مالم يكن هناك «ضامن أعظم» يقيه شر الهلاك!

ومنذ بدأت الانقلابات العسكرية تترعرع فى أرجاء الوطن العربى قبل نصف قرن تقريباً، أخذت عملية الحراك الاجتماعى تسرع حركتها (غير الطبيعية)، يساعدها على السرعة أحداث وحروب غير متكافئة أو غير موفقة أو غير ضرورية، فاطاحت بمنظومة القيم والمفاهيم التى تواضعت عليها الأمة، ولم تفرط فيها حتى فى أشد اللحظات المصيرية حرجاً وارتباكاً.. وكانت هذه المنظومة التى تقوم على قيم الإسلام ومفاهيمه هى «الضامن الأعظم» الذى يعصم الأمة من الضلال ويقيها شر الخراب الداخلى والعدوان على الذات.. بيد أن مرحلة الانقلابات العسكرية مع شعاراتها البراقة التى لم تحقق أيا منها، كانت تضع عينها بقصد أو بدون قصد على «الضامن الأعظم» فحطمته بلا رحمة ولا هوادة،لأنها رأت فيه

« العائق الأعظم » ضد تحقيق الشعارات البراقة، وجندت لذلك النخبة الفاسدة تسوغ قراراتها وتشيد بتصوراتها وتدعو إلى إزاحة « العائق الأعظم » بكل السبل والوسائل، وصارت كلمة الإسلام فى معظم الأجهزة الثقافية والدعائية والتعليمية مرادفا لخطر أكبر وشر مستطير، ووصل الأمر بالنخبة الفاسدة أو حلفاء الشيطان - إذا شئنا تعبيراً أدق - أن تصف الإسلام « بالإظلام » وتنسب إليه « الإظلامية » و« الظلامية » وتستدعى « التنوير » من فلسفة الإلحاد فى عصور التمرد الأوروبية على هيمنة الكنيسة ورجال الدين هناك! ولم يفت البعض من حلفاء الشيطان أن يجهروا بضرورة استئصال الإسلام والقضاء على المنادين به - معتدلين أو متطرفين - مسالمين أو منتقمين، وصارت الغاية المثلى لحلفاء الشيطان هى الدخول إلى رحاب الشيطان الأكبر ذيولاً لا قيمة لها أو خدمًا لا كرامة لهم!

لقد ترتب على ذلك إلغاء التربية الدينية فى مدارس التعليم العام والجامعات، وبدأت خطوات تدمير الأزهر بالقانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١م وانتهى بالقانون الذى صدر فى عام ١٩٩٨م، ليقضى على البقية الباقية من منظومة القيم والمثل التى تمثل « الضامن الأعظم » وحولت الأزهر إلى مجرد فرع لوزارة التعليم، تبدو فيه التربية الدينية مجرد قطعة من الديكور البارد تزين موضعًا قبيحًا شرسًا، ووصل الأمر ببعض المسئولين إلى القول بأن إدراج التربية الدينية فى مناهج التعليم مثل بقية المواد التى تضاف إلى مجموع الطالب سيخلق فتنة طائفية!

ويعلم الناس أن مادة التربية الدينية لا ينظر فيها الطالب إلا ليلة الامتحان كي يحصل ببعض الإجابات السطحية على درجة النجاح وعادة لا يرسب في هذه المادة أحد!

إن مجتمعا ينفصل أبناؤه عن الدين - صانع الضمير والشعور - لابد أن يتردى في الهاوية، وما الطبقة المتوحشة التي تهيمن على مسار الحياة الاجتماعية الآن إلا رأس الكتلة الطافية على الماء.. أما أسفلها فيعلم الله به!!

إن سيادة العضلات وفلسفة القوة والاحتماء بالكبار دليل على انهيار قادم لا شك فيه، لأن التوحش يولد توحشًا مضاداً، والبقاء للأقوى وخاصة بعد أن يكون القانون قد ضاعت هيبته وماتت الضمائر وتبلدت المشاعر، إن التعامل اليومي في الشارع والطريق والمؤسسات والمحلات والمكاتب صار نوعًا من الصراع الذي لا مسوغ له ولكنه يعبر عن إرادة صراع بين قاهر ومقهور، لا مجال فيها للذوق أو التعاطف أو الرحمة، وكأن الناس قد اتفقوا على تحويل قضاياهم المصيرية مع الأعداء والغاصبين والمدلين إلى حرب داخلية تتكلل بالنجاح إذا قهروا بعضهم أو حطموا ذواتهم.. ومن ثم بدت الطبقة المتوحشة التي تحولت بالحراك الاجتماعي إلى طبقة مهيمنة يقتدى بها الناس في سلوكها وأفكارها ونمط حياتها المجتلب من بلاد الشيطان الأكبر وأعوانه!!

لا ريب أن النخبة الفاسدة سعيدة بالنتائج التي وصل إليها الحراك الاجتماعي بإسقاط الدين من الواقع الحياتي حتى صار من يدخل المسجد

غـيـر آمن، ومن يدخل الملهى الليلى آمنًا، وبعـد أن تحطمت الصـحـوة الإسلامية إلى أشلاء مبعثرة وراء السجون أو فى المغارات أو فى تحالفات مع قوى التآمر الغربى اليهودى أو فى الاستلاب أمام جمع الأموال من بلاد النفط أو الصـمت كـمـداً فى انتظار الطلب لاحقًا أو فـوراً كـمـا ينبئ كمبيوتر الداخلية!

لقد خسر المجتمع العربى خسارة كبيرة حين تنحى الدين عن تشكيل الضـمـيـر والشـعـور، فظهـر التـوحش وشـاعت اللصـوصـيـة، وازدهرت الوصـوليـة، وتأخـرنا عن بقـيـة الأمم، ولم تبق إلا النخـبـة الفـاسـدة تغنى للشيطان الأكبر وتحضره وتمدينه!

إن الإسـلام حـرية وشـورى (أكـبـر من الديمقـراطيـة) وعـدل ورحـمـة وإخلاص وتعاون على البر والتقوى وتكافل اجتماعى وتعاطف إنسانى مع البشر المسالمين كافة، وجهاد ضد الطغاة والمستبدين والغاصبين، وحرب لا هوادة فيـهـا ضـد الجهل والتخلف والتـمـيـيـز العنصرى والدينى والطائفى والعرقى.

لصالح من نسقط الإسلام أو الدين عامة من واقعنا؟

إن إسقـاطه يعنى بالضـرورة حراكـا اجتـمـاعـيـا إلى المجهـول المخيف لأن وجوده هو «الضامن الأعظم» لحراك اجتماعى مستقيم يضيف إلى الأمة ورصيدها الحضارى، ويرفع من قيمة أبنائها اقتصاديا وثقافيا وخلقيا..

فهل يفقه ذلك حلفاء الشيطان؟! أشك فى ذلك!.

الحداثيون والإظلاميون

يعلو نواح الحداثيين المستنيرين العرب (الشيوعيين- العلمانيين - اليساريين سابقا) من أجل حرية الإبداع والفكر، ويقيمون الدنيا ولا يقعدونها، لأن القوى الظلامية أو الإظلامية (أى الإسلامية) تهدد حياة المبدعين والمفكرين بالعنف والمحاكم، مما يعرض الإبداع والفكر للخطر والانهيار!

حيثيات الحكم الحداثى المستنير على القوى الإظلامية تقوم على عدة وقائع، منها: مقاضاة منتج ومخرج أحد الأفلام التى تشوه التاريخ، وتفسره على هواها بما يجعل للعدو اليهودى مكانة تاريخية مرموقة، ويحط من قدر شعب عربى عريق، فضلا عن الإساءة إلى نبى من أنبياء الله، بتحريف قصته والاجتراء عليها.

ومنها: رفع قضية ضد مدرس جامعى للتفريق بينه وبين زوجه، لأنه أساء إلى الإسلام وفسر القرآن الكريم تفسيراً ماركسيا يتناقض مع العلم والعقل والمنطق والموروث الصحيح من الدين والعقيدة مما يدخله فى دائرة « الردة » الحقيقية عن مفاهيم الإسلام وتصوراته التى أوضحها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

ومنها: مواجهة الإعلانات السينمائية الفاضحة التى يلصقها المنتجون فى الميادين العامة والشوارع دعاية لأفلامهم الخليعة، وتقديم هؤلاء إلى القضاء من أجل صيانة أخلاق المجتمع وقيمه، وردع تجار الرذيلة ودعاة الانحراف، والباحثين عن المال بالطرق غير المشروعة.

الحداثيون / المستنيرون العرب (الشيوعيون / العلمانيون / اليساريون سابقا) يرون أن هذه الموجة الإظلامية (أى الإسلامية)؛ تفرض على السلطة ومن يسمونهم بالمثقفين الوقوف صفا واحدا لحماية الإبداع والفكر والضرب بيد من حديد على يد الإظلاميين (الإسلاميين) المتخلفين الذين يقودون المجتمع إلى الوراء والعصور الوسطى، أى إنها دعوة للمزيد من العنف السلطوى والقمع الثقافى ضد الفكر الإسلامى، ثم إن القوم يطالبون المجالس النيابية بإصدار تشريعات قانونية تلغى نظام «الحسبة» ويزعمون بعدئذ أن «الحسبة» ليست من الإسلام! وعلى هامش الرؤية الحداثية المستنيرة (الشيوعية / العلمانية / اليسارية سابقا) فإن القوم يوجهون اللوم والتقريع للجهات القضائية، وخاصة القضاء الواقف (رجال المحاماة) لسكوتهم على نظام الحسبة، ويتهمون المحامين الذين يترافعون فى قضايا الحسبة بأنهم طلاب شهرة ودعاية حتى ولو كانوا من المشهورين فعلا وأعلام المحاماة حقا!

انضم إلى الحداثيين / المستنيرين (الشيوعيين / العلمانيين / اليساريين سابقا) عدد آخر لابأس به من الباحثين عن المصالح الخاصة والمنافع الذاتية وأصحاب الملفات المخجلة للأمة وللمثقفين الحقيقيين.

والقضية ببساطة تعنى أن القوم يصرون على أن نلحق بساداتهم فى العالم الصليبى الاستعمارى الغربى ونقلدهم فى هامشياتهم وانحرافاتهم، ونتخلى عن عقيدتنا وأخلاقنا وقيمنا المضيئة، فى الوقت الذى لايستطيع فيه أى مبدع أو مفكر من هؤلاء الشيوعيين والعلمانيين، أن يقترب مجرد

اقتراب من التاريخ الصليبى أو اليهودى، فضلا عن تشويهه والاجتراء عليه، لو فعل لنال العقاب الرادع الذى ينفيه من الحياة، لأن القوم لايقبلون أن يلعب أحد بتاريخهم الزائف أو رؤيتهم الباطلة، ولنذكر الجميع بما فعلوه ذات يوم مع «جارودى» حين انحاز للحق الفلسطينى، وكشف عوار الدعاوى اليهودية، وما فعلوه مع طالب الدكتوراه الفرنسى فى «السوربون» الذى أثبت كذب الدعاوى اليهودية عن المحارق النازية، فسحبوا منه الدكتوراه- ربما لأول مرة فى تاريخ السوربون- وطاردوه فى كل مكان(!) وقدموه للقضاء! ولكن الحداثيين/ المستنيرين العرب (الشيوعيين/ العلمانيين/ اليساريين سابقا) يستحلون تشويه تاريخنا، والاعتداء على مقدساتنا، وتفسير القرآن تفسيراً شيوعياً، والترويج للانحلال وقيم الغرب الصليبى التخريبية!

إن الحداثيين المستنيرين لايخجلون وهم يواجهون الأمة بطعنها فى أعز ما تملك وهو الإسلام، ويستغلون مناخ الاستبداد السائد لتحقيق كسب رخيص، على حساب كل ما هو مضىء وشريف ونظيف.. فالويل لهم من الله ومن التاريخ!.

علمانيون.. ومتنطعون

أراد صحفى ومقدم برامج تليفزيونى سعودى أن يسجل حديثا مع كاتب عمود صحفى شهير حول وفاة الشيخ الغزالى- يرحمه الله- ولكن كاتب العمود الشهير رفض، فى اليوم التالى كتب الصحفى ومقدم البرامج التليفزيونية مقالاً فى جريدة «الرياضة» السعودية يعتب فيه على الكاتب الشهير، ويحاول تفسير موقفه، بالطبع فإن الصحفى السعودى لم يهتد إلى سر الرفض من جانب الكاتب الشهير، ولكنى عرفت السر ببساطة لأن المذكور ينظر إلى أين تتجه الريح الحكومية فى القاهرة وكانت هذه الريح ضد الغزالى وما يمثله، لذا رفض كاتب العمود الشهير أن يدلى بأية كلمة- ولو من باب أداء الواجب- فى تأبين الراحل الكريم الذى أحبه المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها باستثناء فريقين: العلمانيون من خدام الغرب واليهود، والمتنطعون من محدودى الأفق والجهلاء بالتشريع الإسلامى وإن زعموا أنهم متمسكون بأهداب الإسلام وشعائره.

لقد كان الغزالى مثلاً لروح الإسلام الحق، قرأ وعرف، ودعا وحاور، وكابد وعانى، وكانت حصيلة حياته، تراثا غاليا ونفيسا، تضمه مؤلفاته الستون، فضلا عن ألوف التلاميذ فى مشارق الأرض ومغاربها ممن جلسوا إليه واستمعوا إلى محاضراته أو قرأوا إنتاجه الفكرى والثقافى.

كانت رؤيته تتركز على فهم جوهر الإسلام، وقضاياه الكلية، بعد أن مزق القهر وجدان المسلمين وزادهم التخلف فرقة وتناحرا، ودفعهم الجهل

إلى التعلق بالفروع والتعصب للهوامش، وترك الثوابت والأصول.. ونسوا في غمار ذلك رسالة الأمة الإسلامية في الوجود الإنساني.. كانت مأساة المسلمين الواقعية والثقافية تضنيه، فبذل عمره كي يوقظهم من غفلتهم ويرشدهم إلى صحيح الدين ويشدهم بعيداً عن الخلافات التي استهلكت حياتهم وجعلتهم قصعة الأمم وينبههم في الوقت نفسه إلى زحف الاستبداد والإلحاد والهيمنة الصليبية اليهودية..

كل هذا لم يعجب العلمانيين ولا المتنطعين..

العلمانيون الذين يخدمون الغرب واليهود، يبذلون جهودهم لاستئصال الإسلام وتنحيته، وإحلال التصور الغربي الصليبي مكانه، أو على أحسن الأحوال تفريغه من محتواه، وتكريس «الإسلام الأمريكاني» الذي يبيح الربا والاتجار في الخمور وتناولها ومراقصة الرجال للنساء وحفلات ملكات الجمال وتدشين الاستبداد وحكم أحزاب الأقلية المرفوضة من الناس وإعلان التبعية المطلقة للغرب الصليبي واليهود، ولأن الغزالي لم يوافق على «الإسلام الأمريكاني» فقد صار إرهابيًا كما وصفه «بعثي سابق» ولأن الغزالي رفض رواية «أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ، وشهد في المحكمة بأن كاتباً راحلاً قد ارتد عن دينه حين رفض الشريعة وشهّر بالعقيدة، وقضى حياته في التشنيع على المسلمين، فإن صفة «الإرهاب» صارت واجبة للغزالي في عرف «البعثي السابق» الذي لم يراع قواعد اللياقة عقب رحيل الغزالي حين أعلن رأيه الشاذ، وكان هذا «البعثي السابق» قد زور صورة «خالد محمد خالد» الفكرية حين قدمه

للناس من خلال كتابه « من هنا نبدأ » وأغفل عن عمد أن « خالد محمد خالد » أعلن فى جرأة الرجال الشجعان اعتذاره عما ورد فى هذا الكتاب، وأصدر كتابًا مضادًا يعلن فيه أن الإسلام دين ودولة، وليس كما يريد عشاق « الإسلام الأمريكانى »! وإذا كان العلمانيون قد فَجَرُوا فى خصومتهم للغزالى وعدائهم له فإن المتنطعين اكتفوا بحديث المجالس وأخرجوه من دائرة الإسلام لأنه رأى رأى الأقدمين فى بعض القضايا الفقهية الخلافية، بل وقفت بعض الصحف التى توصف بالإسلامية موقفا مريبًا عندما اكتفت بنشر البيانات الرسمية، وسمحت بنشر مقالات الغمز واللمز التى لا تليق بها ولا بمن ينتمى إلى الإسلام، ومنعت فى الوقت نفسه مقالات تتحدث عن الرجل وإنجازاته فى مجال الدعوة.

إن هؤلاء وأولاء وبال على الإسلام والمسلمين، واتفاقهم على النيل من « الغزالى » لن يقلل من شأنه فى قلوب الناس، فهذا شأن العظماء دائما، لقد كان الغزالى يتجه إلى ربه فيما يقول ويفعل، وكان يمكنه – لو فعل العكس – أن يكسب الكثير من ثناء العلمانيين والمتنطعين جميعًا، فضلا عن مكاسب مادية ومعنوية كبيرة.. ولكنه آثر جانب ربه وفضل العيش بسيطًا زاهدًا، يدعو الناس بما يعتقد أنه صحيح.

إن الذين هاجموا الغزالى سيذهبون وتذهب كلماتهم.. ويبقى فكر الإسلام المضىء من خلال مؤلفات الغزالى شامخًا وراقيًا، لأنه يطابق الكتاب والسنة والفطرة التى فطر الله الناس عليها.

المرأة وقضاياها

في إحدى الإذاعات الشهيرة، برنامج أسبوعي يهتم بشئون المرأة ليس من ناحية تربيتها وتعليمها ومساعدتها في شئون تكوينها الإنساني والاجتماعي، ولكنه يركز أساسا على بعض القضايا التي تشتبك مع التشريع الإسلامي، وتسعى إلى تقويضه بصورة وأخرى ومن تلك القضايا: الطلاق.

من أطرف ما قدمته الإذاعة المذكورة: أغنية حول الطلاق تقدمها مغنية تزوجت ثم طلقت، وتنعى الأغنية حال المغنية المطلقة وأحوال غيرها من المطلقات.. ويبدو الرجل دائماً سبب الكارثة التي حلت بالمرأة.

ومعلوم في ديننا الحنيف أنه أبغض الحلال إلى الله، وأنه آخر خطوة يلجأ إليها الزوجان بعد استنفاد وسائل المصالحة والإصلاح، لأن الإسلام يهدف من الزواج إلى تكوين أسرة مستقرة عمادها الود والرحمة، لتسهم في بناء المجتمع الإسلامي وترقيته وتقويته، فإذا أخفقت الأسرة في تحقيق هذا الهدف فمعناه أنها انحرفت عن تحقيق مقاصد الشريعة من الزواج.

قد يكون الإخفاق بسبب عدم قدرة الزوج والزوجة على التعايش المنتج والمثمر والآمن.. وهنا يشرع الطلاق لحماية الأطراف كافة: الزوج والزوجة والأولاد ومن حولهم.

الطلاق في هذه الحالة رحمة ورخصة استخدمت في موضعها بعد

العجز عن التفاهم والتصالح، وليس مجرد تسلية يتسلى بها الرجال أو لعبة تلعب بها النساء، دون مسوغ أو أسباب.

والطلاق في الواقع الاجتماعي لايمثل مشكلة كبرى في أكثر المجتمعات الإسلامية حاليًا، لأن المشكلة الحقيقية تكمن في عدم القدرة على الزواج وقد نبه إلى ذلك عدد كبير من الباحثين وأصحاب الدراسات الاجتماعية، والأسباب كثيرة ومعروفة، وأهمها مشكلة عدم توفير المسكن، وغلاء المهور، والتمسك بالعادات والتقاليد والشكليات الاجتماعية مثل: المغالاة في تأثيث عش الزوجية، أو الإصرار على توفير الكماليات.. مما يترتب عليه ارتفاع سن الزواج لدى الشبان والفتيات بصورة ملحوظة، فضلاً عن الانحرافات التي تتولد عن عدم الإشباع الجنسي في ريعان الشباب.

القضية الأولى بالاهتمام إذًا هي صعوبة الزواج وليس الطلاق، بل إن مشكلة الطلاق- إن صح أن تسمى كذلك- جزء من مشكلة أكبر هي مشكلة التربية الإسلامية في مجتمعات تعقدت فيها المصالح وتضاربت فيها الأفكار، وابتعدت عن التشريعات الإلهية التي تمثل نموذجًا رفيعًا للحلول الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها.

إن بناء الإنسان المسلم هو الحصانة الحقيقية للرجل والمرأة في علاقاتهما الزوجية والإنسانية، فالمسلم الذي تربى تربية صحيحة وسليمة لن يظلم الآخرين ولن يغدر بهم تحت أي ظرف من الظروف أو سبب من الأسباب، لأن العدل غاية من غايات التربية الإسلامية، والعدل الإسلامي فوق العواطف الجامحة والمشاعر الحادة، لأنه يتغيا إرضاء الله، وليس إشباع

الشهوات والنزوات، فالكراهية مثلاً مهما كانت عاتية فى مشاعر أحد الطرفين، فإنها لا تغطى على أصول العلاقة العادلة التى رسمها التشريع ووضعت أسسها العقيدة، لذا كان المسلمون يحرصون على تزويج بناتهم من المتدينين، لأن هؤلاء إذا كرهوا زوجاتهم فلن يظلموهن.

إن واقع بعض المجتمعات الإسلامية يبتعد عن الشريعة ومقاصدها، والتربية الإسلامية فى هذه المجتمعات مطاردة أو محاصرة أو مرفوضة، وحلت محلها أو نافستها تربية أخرى غريبة لا تنتمى إلا للمادة وقيمها المعدنية، فانتفت المودة والرحمة والتعاطف، ولم تتحقق مقاصد الشريعة فى بناء الأسرة والمجتمع، ومن ثم كثرت المشكلات الاجتماعية كثرة ملحوظة فى أكثر من ناحية، وصارت كل مشكلة تأخذ بتلابيب مشكلة أخرى وتتداخل مع مشكلة ثالثة ورابعة وخامسة.. مما يعنى أن هناك خللاً ملحوظًا فى البناء الاجتماعى يجب حله حلاً جذريًا، وليس حلاً سطحيًا يرتبط ببعض الظواهر دون بقيتها، إن الخلل الاجتماعى يكمن فى إخفاق النظام التربوى وأساسه التعليم ثم ابتعاده عن هوية الأمة وقيمها وتشريعاتها، والاعتماد على نقل نظم تربوية أجنبية لا علاقة لها بمعتقدات الأمة وقيمها، وأسهم فى ذلك محاولات لوضع قوانين بعيدة عن روح الإسلام، تمت صياغتها لغايات ثأرية أو انتقامية، فعقدت المشكلات أكثر مما حاولت تصفيتها وأساءت إلى الناس بصورة عامة.

إن افتقاد الفرد للضمير الذى يصنعه الدين، يجعله أقوى من قوانين الأرض الوضعية جميعًا، ولن تردعه هذه القوانين عن الظلم والبغى فضلاً

عن كـون هذه القـوانين قـاصـرة عن توفـيـر الزوج الطيب أو المرأة الطيـبـة، فـالتكوين الإنساني الطيب مرهون بوجود الضـمـير الإسلامى فى حناياه ووجـدانه، ومن ثم فإن أية وثيـقـة للزواج تملى فـيـهـا المرأة شـروطهـا، لن تضمن لها العيش الكريم، أو تؤمنها ضد غوائل الظلم والطغيان، الضمير الإسلامى هو العنصر الأساسى، وتأتى بعد ذلك التشريعات الإسلامية لتنظم العلاقات بما يضمن الحقوق المادية للأطراف المختلفة فى دائرة الأسرة والمجتمع.

إن الإسلام هو الحل.. أما تقليد الغرب فهو المشكلة، وهو الهلاك والدمار!.

رفقًا بالدراويش

أثار الأستاذ «فهمى هويدى» موضوعًا خطيرًا يتعلق بالتدين المغلوط من خلال حديثه عن بعض سلوكيات المسلمين المعاصرين واهتمامهم بالفروع قبل الأصول، وتقديم المستحبات على الفرائض، فى مقابل محاولات دءوب من قبل التيار الدنيوى لقطع الصلة والوشائج مع الإسلام وقيمه العليا فى البناء الحضارى والخلقى والإنسانى.

حظى الحديث عن التدين المغلوط بمساحة أكبر من الحديث عن ممارسات التيار الدنيوى التى ارتبطت ببعض البرامج التليفزيونية فى شهر رمضان.. ثم انعطف الحديث فى مجمله إلى تناول واقع المسلمين من حيث التخلف والتقدم، والأولويات والثانويات، وصار الأمر كله إدانة صريحة لأحوال المسلمين المعاصرين وسلوكياتهم.

منطق «فهمى هويدى» فى عمومه سليم، وأتفق معه فيما ذهب إليه جملة وتفصيلاً، ولكن الموضوع أهمل الأسباب الأساسية للتدين المغلوط، ومر عليها مرورًا عابرًا فى سياق المعالجة والتشخيص لحال المسلمين، فى حين أن هذه الأسباب تمثل عصب المسألة وتحررها على الوجه الدقيق، إذا شئنا معالجة حقيقية وفعالة لمحنة الأمة.

ويمكن أن نشير إلى عنوان رئيسى توضع تحته أسباب التدين المغلوط هو «الاستئصال» أو «الإقصاء» كما يسميه الأشقاء المغاربة فاستئصال

الإسلام غاية أساسية لدى الغرب الاستعماري وأعوانه من بني جلدتنا، وعملية الاستئصال تتخذ من بعض الحوادث الفردية أو غيرها، ذريعة لسن القوانين أو التشريعات التي تحظر «الإسلام الحضاري» - إن صح التعبير- وتبقى في الوقت نفسه على «إسلام الدراويش» وخاصة في الموالد والمناسبات الدينية حيث يعبر الدراويش عن أنفسهم بالبيارق والطبول والصاجات والأناشيد، وتلتقى الجموع في الخيام والسرادقات حول الفتة والكباب، ويختلط الرجال بالنساء في مشاهد تشبه «يوم الحشر»! بل إن بعض السلطات تغض الطرف أحيانًا عن بعض الطرق «الدرويشية» المشتبه بفكرها ومعتقدها في حين تجند هذه الطرق أفواجًا لا تحصى من البشر -رجالاً ونساء- وتحشدهم في حافلات كبيرة وتذهب بهم إلى الموالد والمزارات في مظاهرات تفوق طاقة أي حزب سياسي على أرض العرب، اللهم إلا أحزاب «الكورة»!.

لقد استغلت بعض السلطات حوادث الإرهاب في بعض مناطق العالم العربي لتعلن الحرب على الإسلام من خلال ما تسميه الحرب على الإرهاب، وأصبحت كلمة «الإسلام» سيئة السمعة لدى كثير من الحكومات، وصار الإسلام في عرف الدنيويين ومثقفي الحكومات رمزا للإظلام والتخلف والجمود، ونشط كتاب الدراما التليفزيونية والمسلسلات ومؤلفي الأفلام والمسرحيات في تشويه صورة الإسلام والمتدينين، والربط بين المسلم والجريمة بأنواعها: القتل، السرقة ، النصب ، الكذب ، ازدواجية الفكر والسلوك.. إلخ، ونجحت كتابات مثقفي

السلطة وهؤلاء المؤلفين فى إبعاد الأجيال الجديدة عن حقيقة الإسلام وجوهره الإنسانى، وإذا أضفنا إلى ذلك إلغاء الإسلام عمليا وعدم تدريسه تدريسًا جديًا فى التعليم العام، فضلا عن تدهور التعليم الأزهرى وتخريبه، فإن أجيالاً حاضرة تجد نفسها فى دائرة «المظلومين» لأنها افتقدت التوجيه السليم، والتربية الدينية الصحيحة، ولاشك أن الوجدان الشعبى- خاصة فى مصر- هو وجدان متدين بالفطرة، ومهما بلغت حملات الاستئصال بشاعة وشراسة، فإن الوجدان الشعبى يظل منتسباً للإسلام وقيمه، حتى لو بدا مفتوناً «بالمستورد» من أفكار الأعداء وخصوم الدين وتائها فى ضلال «الدروشة» ومتاهات «التهميش»!.

إن العمل الخيرى الإسلامى لمساعدة المحتاجين والتضامن الاجتماعى والبناء الحضارى، مرفوض من كثير من الجهات على أرض العرب بل هو محل اتهام وتجريم على المستويين الدولى والمحلى، وليس ببعيد ما قيل عن هيئات الإغاثة الإسلامية التى تقدم خدماتها فى أرجاء العالم، وللمظلومين على وجه الخصوص فى البوسنة وفلسطين وكشمير وغيرها، لقد جرموها وجعلوها ممولاً للإرهاب! وشنوا عليها حملات التشهير والملاحقة كذبًا وعدوانًا، وهو ما يذكره الكثيرون، ومالنا نذهب بعيداً وقد رأينا الذين يسارعون إلى مساعدة ضحايا الزلزال فى مصر يوصفون بأبشع التهم وبدلاً من شكرهم وتقدير مبادرتهم التى سبقت عمل الأجهزة الحكومية النائمة فى العسل (!) سمعنا وقرأنا ورأينا «جزاء سنمار» يلقاه الذين تطوعوا بحمية الدين لإنقاذ المصابين ومساعدة المشردين، فى الوقت

ذاته فإن « الكنيسة المصرية » حين تحركت لمساعدة المتضررين فى هضبة « المقطم » لم يتكلم أحد، بل أشيد بها وبجهودها!.

لقد وصل الأمر إلى حد إخلاء المساجد من مجموعات التقوية للطلبة « لايستطيع أحد أن يقترب أو يشير مجرد إشارة إلى مجموعات التقوية فى الكنيسة » فضلاً عن محاربة أى نشاط اجتماعى فى أصغر قرية بل يسارع البعض إلى سن القوانين التى تحد من نشاطات الجمعيات الأهلية، وبناء المستشفيات والمدارس، ويا ويله، وسواد ليله من يختار اسما « إسلاميا » لمنشأة تعليمية أو علاجية أو أهلية ويقال له: ألسنا مسلمين؟ أأنت تكفرنا؟ المجال ضيق لتعديد مظاهر الاستئصال والعداء الكامن والظاهر للإسلام ومايمت إليه بصلة، ومن هنا فإن « إسلام الدراويش » يعد ظاهرة عفوية للمقاومة، حين يكثف جهوده فى تكرار الحج والعمرة، وهو - على رأى المستشار طارق البشرى- نوع من « المصدات » التى تلقى فى مياه الشواطئ حماية لها من النحر والتآكل، حتى يأذن الله بمن يعلم الأجيال دينها الصحيح ويدلها على المنهج السليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المسرح والتليفزيون.. والسخرية من الإسلام!

هل يستطيع «عادل إمام» أن يسخر من رجل دين مسيحي أو حاخام يهودى؟ وهل يستطيع «أسامة أنور عكاشة» أن يصور واحداً من الرجلين السابقين في صورة الأهبل المخرف أو الانتهازى قاسى القلب الذى لا يعرف الشفقة والرحمة، وفى يده التوراة أو الإنجيل، أو يرتدى مسوح الكهنوت؟

كلا.. لا يستطيع «عادل إمام» ولا «أسامة أنور عكاشة» أن يفعلا ذلك لأنهما لو فعلا ستكون العواقب وخيمة وغير طيبة على الإطلاق.. ولكنهما حين يفعلان مع الإسلام فالأمر بسيط للغاية، ولن يكلف أيا منهما شيئًا، بل إن بعض الجهات ستعلن امتنانها لهما، وستطلق على الأول لقب «الزعيم» وعلى الثانى «ملك الدراما»، فضلاً عن الدعاية والتلميع والمكافآت المنظورة وغير المنظورة.. وإننى أدعو الله سبحانه وتعالى- مع ما يحدث منهما بالنسبة للإسلام والمسلمين- أن يعينهما ليكونا من جنود الدين الإسلامى الحنيف، ويقدما ما يرضى الله ورسوله ﷺ، ويخدم أمته خدمة حقيقية توضع فى ميزان حسناتهما، فهما من الطاقات الفنية والأدبية التى نأمل أن تكون إضافة للإسلام، وخصما من حساب الشر والأشرار.

لقد أذاع التليفزيون المصرى على قناته الأولى مسرحية لعادل إمام «الواد سيد الشغال» ليضحك الناس، وقد ضحك الناس فعلاً ولكن على المأذون و«المحلل» وعلى «فتح مكة» و«يثرب» والصحابة من خلال

السخرية والتقليد، وهو ما كنت أربأ بعادل إمام أن يتجنبه حرصًا على مشاعر ستين مليون مصرى يرفضون إهانة الدين ورموزه وطلائعه، وإذا كانت هناك فعلاً صورة للمأذون «غير المحترم» والمحلل «المأجور» والممثلين «المتنطعين المتشدقين» فليس ذلك مسوغًا لإهانة علماء الدين بحال من الأحوال.

لقد قدم «عادل إمام» صورة «المتدين الملتحى الإرهابى» وألح عليها فى أكثر من فيلم من أفلامه، فمتى يقدم صورة المسلم الملتحى الإيجابى الذى يعمل وينتج ويصدق ويمد يده بالخير والعون والتسامح والمساعدة للآخرين.. أليس ذلك سؤالاً مشروعًا؟ أم إن الأمر مقصور على تقديم الشخصيات المشوهة التى ترضى بعض الجهات؟

ومن حق «أسامة أنور عكاشة» بل من حقنا أن يقدم لنا «امرأة من زمن الحب» فى مسلسل طويل التيلة يمتد إلى ماشاء الله من حلقات تكشف عن شخصية محبة للخير والأخلاق الطيبة والالتزام فى الفكر والعمل والسلوك، فى الوقت الذى يذكر الأمة بقضاياها الأساسية ويحذرها من أعدائها الأزليين الأبديين، وأن يبث فيها روح المقاومة والصلابة أمام جحافل اليأس والإحباط والاستبداد، ولكن لماذا يصر أن يكون حامل القرآن مخرفًا وعبيطًا ودرويشًا أبله، وحامل العمامة غليظ القلب بشع السلوك، لا صلة له بالرحمة والشفقة؟ أليس ذلك افتئاتًا على حملة القرآن وحملة العمائم؟ صحيح أن بعضهم يعيش الفصام وبعضهم يأكل بالإسلام ولكن أليس فيهم رجل رشيد يحقق التوازن والتعادل؟

إن « أسامة أنور عكاشة » يدافع عن اليهودية « ميشلين » ويفصل بينها وبين العدو اليهودى فى فلسطين المحتلة، ولكنه يصر على دمغ المتدينين المسلمين بالتخريف والقسوة، وكان من المتوقع وقد قدم لنا فى بداية مسلسله صورة بشعة لجماعات إسلامية لاتعرف غير لغة الدم أن يعادل الصورة فيجعل حامل القرآن وحامل العمامة نموذجًا للعطاء الفطرى والاعتدال السلوكى الذى يصنعه الإسلام بأتباعه. ولكن يبدو أن « أسامة أنور عكاشة » مصر على موقفه الذى لايرى فى الإسلام وأتباعه إلا الدم والخرافة وغلظة القلب! وإنى أسأله: هل هذا صحيح يا أسامة؟.

إذا كانت « توتيانا سسكند »(١) « اليهودية النجسة تهاجم الإسلام ورسوله ﷺ، وتزور القرآن الكريم، وإذا كانت « والت ديزنى » تصنع أفلام كرتون تشوه حقيقة الدين الحنيف، وإذا كانت « هوليود » تصور أفلامًا تجعل العنف والدم والتخلف والجنس خصائص إسلامية. فهل يليق بأسامة أنور عكاشة أن يشارك فى هذه المسيرة الظالمة؟... من حق أسامة وعادل إمام أن يعتقدا وأن يؤمنا بما يشاءان، ومن حقهما أن يخدما « السيد » الذى يحبان؟ ولكن أليس من حقنا عليهما أن يكونا « عادلين »؟

إن هموم الوطن لا تنفصل عن هموم الدين، فالأولى نتيجة للثانية والذين يحاولون استئصال الإسلام يسعون لاستئصال الوطن من قيمه

---

(١) امرأة يهودية تعيش فى فلسطين المحتلة، أساءت إلى الإسلام والمسلمين من خلال بعض المطبوعات والملصقات فى أواخر عام ١٩٩٨م.

ومثله وتاريخه ومستقبله، فالإسلام حرية وإبداع وعدل ومساواة وبهجة وانطلاق.. والذين اغتالوا حرية الوطن وكرامته هم المعتدون الحقيقيون وهم أسباب الخراب والدمار الذى حل بالقلوب والنفوس والأرواح!.. ترى هل يراجع «عادل» و«أسامة» موقفيهما من الإسلام، ويعودان إلى الموضوعية؟

وتبقى كلمة للمهيمنين على التليفزيون وأجهزة الدعاية فى بلادنا: إن الإسلام ليس عدواً للناس ولكنه جاء ليخرجهم من الظلمات إلى النور - والنور أعظم من التنوير- فحاولوا أن تقفوا منه موقفاً معقولاً محايداً على الأقل، وعاملوه كما تعاملون الشرائع الأخرى وفقاً لمبدأ المساواة ورفض العنصرية.. وتذكروا أن مصر لا ترتقى، ولايمكن أن ترتقى بالرقص والطبل والزمر وأعلام الفن الهابط، ولكنها تنتصر وتتفوق بالإسلام والحرية والعمل والعلم والأخلاق والمساواة والعدل والصدق والأمل.

واسلمى يامصر!.

اعتزال الحكيم.. وخطبة الوداع

قليلون هم الرجال الذين يتحدث عنهم التاريخ بوصفهم قد امتلكوا أنفسهم وقدروا عليها، فغيروا الدنيا، وتحدث عنهم التاريخ بوصفهم أفذاذاً، أو من الندرة التى تحدث بين الحين والحين، فتقدم المثل والقدوة والأمل.

تاريخنا الإسلامى حافل بهؤلاء الأفذاذ بدءاً بتلاميذ مدرسية النبوة العظام وخاصة الخلفاء الراشدون، وانتهاء بتلاميذ الجهاد والكفاح ضد الاستعمار والتخلف فى العصر الحديث، غاية هؤلاء الرجال خدمة ربهم ودينهم وأوطانهم دون سعى لمغانم أو مكاسب أو سلطة أو وجاهة، فسجل التاريخ أسماءهم بحروف من نور..

وفى العقود الأخيرة رأينا نماذج مضادة تعصف بكل ما هو صادق ومخلص وجميل، يحركها الغرض ويشحنها الهوى ويشغلها الربح والمنفعة والمصلحة، فآذت نفسها بعد أن آذت شعوبها وأهلها، ووضعت أوطانها ومجتمعاتها فى مأزق ومزالق ومنعطفات خطرة.. وكان الحصاد ما نشهده على امتداد العالم العربى الإسلامى حنظلاً وزقوماً يتجرعه الناس فى حياتهم اليومية، ومع نشرات الأخبار ومطالعة الصحف والمجلات، ولكن بعض النماذج التى تبرق بالأمل من هنا أو من هناك تعيد التوازن للقلب العربى المسلم المهزوم، فتقول له: لعل وعسى يأتى الله بأمر من عنده.. فتتغير النفوس، وبالتالى تتغير الأحوال ويفرح المؤمنون بنصر الله..

فى غرب إفريقية، وفى أوائل عام ١٩٩٩م، كسرت نيجيريا السوداء قاعدة الصمت والحزن المقيم، وأعلن الجنرال «عبد السلام أبو بكر» تخليه طواعية وبمحض إرادته عن السلطة المغرية ومباهجها المتوهجة، وأتاح الفرصة لشعبه المظلوم المقهور أن يتنفس بحرية وأن يعبر عن إرادته فى اختيار حكومته المحلية، وحكومته المركزية ورئيس دولته، وشهد على ذلك مراقبون من دول العالم وأجهزة الإعلام المختلفة.. وسجل التاريخ لهذا الرجل صفحة ناصعة بعد أن سجل لمن سبقوه أسود الصفحات، آخرهم الجنرال «أباتشا» الذى قيل إنه مات بالفياجرا وسط خليلاته أو عشيقاته الروسيات!

قبل الجنرال «عبد السلام أبوبكر» كان المشير «سوار الذهب» فى السودان الشقيق يتنازل بمحض إرادته عن الحكم للمدنيين، ويتفرغ لعمل إنسانى عظيم من خلال هيئة الإغاثة الإسلامية ومشروعاتها التى تمتد للمحتاجين والمتضررين فى شتى أرجاء الأرض، وصار الرجل قدوة فى الزهادة والإخلاص والنبل..

ثم يأتى أخيراً «نيلسون مانديلا» ليمضى على الطريق ذاته، ويقدم المثل فى التعفف واحترام النفس وقبل ذلك احترام الشعب والأمة، فيتنحى عن الحكم مختاراً ويعلن أنه لن يرشح نفسه مرة أخرى، وأنه سيعيش ما تبقى له من حياته فى هدوء وسلام بعيداً عن هموم الحكم وشجونه، لقد أمضى قرابة ستين عاماً فى الكفاح ضد الحكم العنصرى والاستعمارى الأبيض، قضى كثيراً منها فى سجون المستعمر الأبيض البغيض، وكسب

شعبية جارفة جعلته بحق بطل الاستقلال والحرية فى جنوب إفريقية، وقدوة تحتذى فى أرجاء العالم كله..

إن « مانديلا » وقف بين شعبه ليودعه وقد قارب الثمانين عامًا، فلم يسمع من يتهمه فى ذمته أو سلوكه، أو من يقول إنه استفاد من منصبه، أو أغدق على حزبه وأنصاره ومن يهتفون له، أيضًا لم تخرج المظاهرات المنظمة لتطالبه بعدم التنحى، أو تقول له: ابق فأنت الزعيم الباقى! ولكن الشعب الإفريقى فى جنوب القارة احترم إرادة الزعيم « الحقيقى » وتركه ليمارس حياته الهادئة بعد رحلة طويلة.

ثم إن « مانديلا » من قبل لم يسمح لنفسه أن يتأله فوق شعبه مع أن شخصيته « كاريزمية » فيها سحر التأثير والجاذبية بالنسبة للجمهور، وأيضًا لم يحاول أن يصادر حرية وطنه ومواطنيه تحت أى مسمى من المسميات التى نراها فى معظم بلدان العرب والمسلمين.. لقد كان مسئولاً « ديمقراطيًا » بحق، ولم يكن « إلها مقدسًا » كما نرى فى كثير من البقاع!! لقد تحدث « مانديلا » فى خطبة الوداع عن إنجازات حكومته ولم يتحدث عن إنجازاته هو، وتكلم عن التقدم الاقتصادى والاجتماعى لشعبه ووطنه، وطلب من حكومته السير على طريق العمل والكفاح من أجل الشعب.

وفى كل الأحوال فقد ارتضى « نيلسون مانديلا » أن يكون صاحب صفحة بيضاء نقية على أن يكون صاحب ثروة صفراء، أو هالة من الزعامة الجوفاء تصنعها أجهزة دعاية مأجورة، وأبواق يجيد النافخون فيها مهنة واحدة هى « النفاق ». لقد فرض « نيلسون مانديلا » احترامه على العالم

كله، بما فيه الدول الكبرى، لأنه كان صادقًا مع نفسه وشعبه، فلم يكذب ولم يتملق ولم يداهن، واحتفظ باستقلال بلاده، وحافظ على كرامة وطنه ومواطنيه.. لقد ناضل بإخلاص ضد المستعمر العنصرى الأبيض، وفاوض بشرف ضد الحكم العنصرى الأبيض، ولم يفرط فى الحالين بذرة واحدة من حقوق الشعب، حتى فى حياته الشخصية وعلاقته الزوجية، كان صادقًا ونبيلاً ولم يكن مخادعًا لئيمًا!

إن «نيلسون مانديلا» يحتاج إلى تحية واجبة، من كل الشرفاء فى أنحاء العالم، ومن كل المظلومين والمضطهدين الذين يتوقون إلى العدل والحرية والكرامة فى إفريقية وآسيا وغيرهما، فالرجل يستحق الاحترام من مؤيديه وخصومه على السواء لأنه كان حكيمًا!.

تطوير الأزهر .. وإرادة الأمة !

من فضل الله على عباده أن جاء الإسلام بلاكهنوت ولا رجال دين فلا يملك إنسان لإنسان شيئا، وقد علمنا الرسول ﷺ أنه لا يغنى عن أحد شيئًا ولو كان من ذوى قرباه، ومن ثم فقد خلا الإسلام من تقديس الأفراد ولم يمنح العصمة لأحد غير الأنبياء، فالقداسة لله وحده، والعصمة لنبيه ﷺ، وبقية الناس بشر يصيبون ويخطئون، وحساب الجميع على الله.

مع هذه البدهيات الساطعة، فإن البعض يتصور أن مايقوله قرآن منزل، وما يقرره وحى مقدس، ومن هنا لاتجوز معارضته أو رفضه، ومن يفعل فإن عليه أن يحتمل المضاعفات بدءا من المحاكمات التأديبية إلى الفصل من العمل، مرورا بالحصار والتشهير والهجاء. وما جرى فى الأزهر الشريف طوال السنوات الماضية كان نوعا من التدمير المتعمد للمرجعية الإسلامية العلمية الباقية فى أرجاء العالم الإسلامى، وجاء هذا التدمير مسلحا باستبداد آثم وعقوبات ظالمة وممارسات خاطئة!

لا أحد ينكر أن التطور سنة من سنن الله فى خلقه يجرى على الكائنات الحية بل الجمادات فتتطور أو تتغير، ولايستطيع منصف أن يمارى فى ضرورة تطوير الأزهر بعد ما لحقه من مهانة وهوان على امتداد السنوات الماضية، منذ صدور القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١م، حيث أضعفه وقلل من مكانته، وشغله بما ليس من وظائفه، وقضى على هيئة كبار العلماء كما نسف استقلاله أو ما بقى من استقلاله، مما ترتب عليه أن

صار الأزهر كيانًا هشًا ينال منه كل من يريد، وصارت أحوال خريجيه فى أغلبهم الأعم لا ترضى أحداً حتى أولئك الذين يسهمون فى تخريبه وتدميره، لايرتضون المستوى الراهن لخريج لايحفظ القرآن الكريم ولايدرى باللغة أو الأدب أو التشريع!

المفروض فى التطوير أن يرقى بالأزهر مكانًا ومكانة، وبالطالب الأزهرى علمًا وفكرًا، وهذا ما ينبغى أن يتفق عليه المعنيون بأمر الأزهر سواء من داخله أو خارجه، لأن الأزهر ليس مجرد معهد علمى يقوم بتخريج الطلاب ولكنه يمثل المرجعية الإسلامية العلمية الأولى فى العالم، للمسلمين على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم - حتى الشيعة ينتظرون ما يقوله الأزهر - وخاصة فيما يعرض للأمة من أحداث وأحوال، وإذا كان القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١م، قد أساء إلى الأزهر وحمل طلابه فوق طاقاتهم من المواد الدراسية، مما جعلهم ينصرفون عنه، وجعل الإدارة تتخلى عن كثير من شروط القبول، وأهمها حفظ القرآن الكريم كاملاً، فإن محاولات التطوير التى جرت على مدى الأعوام القليلة الماضية، أدت إلى مزيد من التدهور فى مستوى الطلاب، عندما اختزلت ساعات التدريس للقرآن الكريم والمواد الشرعية واللغوية والأدبية، على النحو الذى نشره أساتذة الأزهر فى الصحف مدعومًا بالجداول المقارنة بين ما كان وما صار!! التطوير المطلوب يفترض الترقية، وتجاوز الانهيار والتردى إلى التماسك والسمو.. أما إذا كان التطوير يعود بالأزهر إلى الخلف ويقلل من مكانه ومكانته.. فهذا ليس تطويرًا، ولكنه تغيير إلى الأسوأ يجب التصدى له ومقاومته حتى يتم التصحيح!.

ومن المؤسف أن الذين قادوا عملية التطوير السلبى للأزهر يصرون على الخطأ ويدعمونه بسلطتهم المستبدة وصلاحياتهم العقابية وإمكاناتهم التشهيرية، وأطرف ما قرأته كان قصيدة هجاء ركيكة فى مجلة «الأزهر» ضد المعارضين لتدمير الأزهر! فهل هذا يليق بمن يعلمون الناس حسن الخلق، والجدال بالتى هى أحسن؟ أما كان الأجدر بتخصيص هذه القصيدة لهجاء الصرب الذين يقومون بإبادة الشعب المسلم فى كوسوفو؟ أو تخصيص المساحة للتعريف بهذا الشعب المظلوم؟ أم إن هجاء المعارضة يمثل الاستراتيجية الأهم والأولى؟

إن البعض ينزعج من المعارضة انزعاجًا لامسوغ له، ويرى أن اللجوء إلى القضاء عمل لايليق بالمعارضين.. ولا أدرى لماذا لم يتحرك هؤلاء وسوط الاستبداد يلهب ظهور من يقفون ضد تخريب الأزهر وتدميره؟ ولا أدرى لماذا لم يقولوا لمن لجأ إلى القضاء ضد المعارضين لاتفعل فإن أحداً من المعارضين لم ينطق أو يكتب كلمة غير لائقة منذ بدأت عملية التخريب والتدمير؟ ولا أدرى لماذا لم يتكلم أحد عندما شبه أحد المسئولين الأزهريين المستبدين نفسه بالله جل وعلا، وشبه رئيسه بالنبى ﷺ وتلا قول الله تعالى: ﴿ **لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً** ﴾ [الأحزاب: ٦٠]. فهل المعارضون منافقون يا من يتألى على الله؟ ولا أدرى لماذا يتصور البعض أننا نريد طلابًا جهابذة لايأتيهم الباطل من بين أيديهم؟ فقط نتمنى طلابا يحفظون القرآن الكريم وينطقون لغة سليمة ويعرفون ما فى

كتبهم!، ولا أدرى لماذا يطالبنا البعض بإحسان الظن بالمستبدين، ولايقولون لهؤلاء: اتقوا الله فى سلوككم وتصرفاتكم وأقوالكم؟ لا أدرى لماذا لايقول هذا البعض للمستبدين من أهل الأزهر- الذى يعلم الشورى- اجلسوا مع أهل العلم وتناقشوا برحابة صدر لإعلاء شأن المعهد العريق ورفع مكانته؟ ولا أدرى لماذا لايقول هذا البعض للمستبدين من مسئولى الأزهر: لايصح أن تجلسوا مع علماء الأزهر وتخبروهم أن ما جرى هو إرادة القيادة السياسية- وهذه بريئة كما أعلم- ولا مجال للنقاش لأن هناك موعدا مع السفير الأمريكى؟ هل هذا أهم من مصير المرجعية الإسلامية الأولى فى العالم؟ ولا أدرى لماذا لم يستنكر هذا البعض ما يمارسه بعض مسئولى الأزهر من سلوكيات لا تتفق وخلق الإسلام حين يطاردون المعارضين كى يمنعوهم من المشاركة فى برامج الإذاعة والتلفزة؟

لماذا لايقول هذا البعض إن من يستغنى بالخالق لايحتاج إلى المخلوق؟

إن الأزهر ملك الأمة الإسلامية وليس ملكا لموظفيه، وسوف تنتصر إرادة الأمة بإذنه تعالى، من أجل الأزهر ومن أجل الإسلام معاً!.

الرئيس .. والأزهر

لاشك أن الجامع الأزهر قد نال اهتماماً كبيراً فى عهد الرئيس مبارك، وهو اهتمام يستحق الشكر والتقدير، فالجامع الأزهر منارة مصر الإسلامية التى تشع فى أرجاء الدنيا نوراً وعلماً وهدى، وتتطلع إليه أبصار الملايين فى إفريقية وآسيا بوصفه المعهد الذى يستقون منه صحيح الإسلام.. ومن هنا فإن الاهتمام بالأزهر «المبنى» عمل طيب وضرورى وبخاصة بعد مرور ألف عام أو يزيد تأثر فيها بعوامل الزمان والمكان، ووجب ترميمه وإصلاحه وإعداده ليكون على مستوى النظرة الإسلامية العالمية إليه.

أما الأزهر «المعنى» فهو ما نناشد السيد الرئيس الاهتمام به أكثر وأكثر.. فقد تعرض الأزهر «المعنى» فى نصف القرن الأخير إلى كثير من التشويه والتلويث، مما جعل منظره يهتز فى عيون البعض وخاصة فى الخارج بسبب بعض الممارسات غير المسئولة، ومحاولات إخراجه من وظيفته الأساسية، وهو ما سر أعداء مصر ودغدغ مشاعر بعض المترقبين لإزاحة مصر عن مكانتها وريادتها.. كان الأزهر- وسيظل بإذن الله- قلعة الإسلام الحصينة التى تدفع عنه غائلة الشر والإلحاد والهيمنة الأجنبية، بسبب طبيعته العلمية الأصيلة القائمة على المنهج العلمى السليم وواقع التسامح الذى يظلل أرجاءه ببحث كل القضايا المطروحة، وإتاحة الفرصة أمام صاحب الرأى ليقول ما يعتقد، وكان تجاور المذاهب الأربعة: الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى، دليلاً على تسامح علمى واجتماعى لا مثيل له فى العالم.

وكانت أبرز محاولات التشويه والتلويث التى أصابت الأزهر ممثلة فى القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١م، حيث كان أصحابها يزعمون أنهم يريدون تطوير الأزهر، والتطوير أو التطور سنة من سنن الله فى خلقه ولكن نتيجة هذه المحاولة بعد أربعين سنة أو يزيد تمثلت فى انهيار التعليم الأزهرى، ومستوى الخريجين شاهد على ذلك فى المساجد والمعاهد ومنابر الدعوة، فلا قرآن، ولا لغة، ولاثقافة.. وبعد أن كان خريج الأزهر مرجعًا يرجع إليه الناس فى علوم الدين واللغة وقضايا الأدب والفكر، صار عبئًا على المكان الذى يحل به، وعورة ينبغى سترها إلا قليلاً ممن ساعدتهم ظروف أخرى فى حفظ القرآن وتجويد الدروس الشرعية والعربية.

وأخطر ما أسفرت عنه نتيجة التطوير هو إتاحة الفرصة للدعاة الجهلاء الذين لايفقهون دينًا ولا لغة، ليتسيدوا الساحة، وليفرضوا أنفسهم على الناس ويشغلوهم بما هو هامشى وجزئى وضار.. ورأينا فى الأعوام الماضية آثاراً مؤسفة دفعت بالعنف فى البلاد إلى مستوى غير مسبوق وكانت دماء.. وكان ضحايا.. وكانت أحزان!.

وتأتى المحاولة الأخيرة التى قادها البعض لما يسمى بتطوير الأزهر لتصب فى السياق الدامى ذاته، بل لتصنع تطرفًا أشد ومحنة أقسى ومصائب أكبر، لأنها اعتمدت على تخفيض سنوات الدراسة واختزال علوم الدين واللغة وإلغاء المذاهب الفقهية وإدخال الأزهر فى مجال تخريج العلماء المهرة صناعيًا وزراعيًا.. والقصد عمليًا من وراء هذه المحاولة إلغاء التعليم

الديني وتحويل المعاهد الأزهرية إلى مجرد مدارس مماثلة لمدارس التعليم العام، ولا غرابة بعدئذ أن يأتي من يطالب بضم هذه المعاهد إلى وزارة التعليم، وبذا ينتهي الأزهر وينتهي دوره وتنتهي مكانته!.

إن القوم بهذه المحاولة يسيئون إلى رئيس مصر وإلى مكانة مصر فضلاً عن الإسلام، فالمسلمون في آسيا وإفريقية يعدون الرئيس المصري هو رئيس بلد الأزهر كعبة العلم وقبلة العلماء، وللرئيس المصري في آسيا وإفريقية، منزلة عظمى قد تفوق منزلة رؤساء بلادهم بسبب الأزهر وحبهم له وشغفهم به.. ويرون في مصر دولة مركزية لهم بسبب وجود الأزهر، وأبناؤهم يتطلعون للدراسة في الأزهر والحصول على شهادته لتكون ميزة لهم في أوطانهم وبين مواطنيهم..

ياسيادة الرئيس..

لقد قلت في احتفال بذكرى المولد النبوي الشريف، والله لترتفعن راية الأزهر، ونحن نثق في قسمك، ونصدق أنك ستعمل على رفعته ورفع راياته .. ولكن القوم يفعلون عكس ما تريد، ويريدون تحطيم مكانة الأزهر ومكانة مصر في نفوس الناس.. وقد استخدموا سلطاتهم الإدارية في تأديب المعارضين لخطتهم الشريرة، فأحالوا العديد من العلماء إلى المحاكمة، وأرغموا عميداً لإحدى كليات الشريعة على الاستقالة، وعاقبوا بعض الموظفين الكبار بتهمة إفشاء الخطة الشريرة للصحف، وهددوا عمداء الكليات الذين يعارضون أو الذين لا يؤيدون بعدم التجديد، ومارسوا إرهاباً غريباً بالسب والقذف ضد المخالفين وحلوا جمعية علماء

الأزهر بتهمة العمل على رفع راية الإسلام(!) ومازالوا يعملون لتخريب الأزهر!.

نناشدك ياسيادة الرئيس أن تحيل أمر تطوير الأزهر إلى لجنة محايدة من كبار علماء الأزهر والمتخصصين فى علوم الدين من خارجه، ولتكون المجالس القومية المتخصصة- وأهلها محايدون- ميدانًا للاجتماعات والاستفادة بخبرة أهلها الفنية وما تقرره يكون هو الفيصل الذى يحسم الصراع حول تدمير الأزهر وتخريبه.

وأثق أنك لن ترضى أن يقال: تم القضاء على الأزهر «المعنى» فى عهدك.. لأنك أقسمت: والله لترتفعن راية الإسلام.. فارفعها ياسيادة الرئيس.. والله معك.

الأزهر . . يا سيادة الرئيس !

نلجـأ إليك يا سـيـادة الرئيس- بعـد الله- لتنقـذ الأزهر من الدمـار والخـراب، فـأنت المسـئـول الأول الذى تتـعلق به آمـال الناس، ويحـاول المرجفون فى المدينة أن يوحوا بأن الدمار والخراب رغبة حكومية لاراد لها ولا مانع من تنفيـذها، فى الوقت الذى مازلنا نذكر فيـه قسـمك الذائع والمنشور على الدنيا كلها بوسائل النشر المختلفة،وقلت فيه : والله لترتفعن رايات الأزهر. ومع أن البعض الذى حضر مجلسك وسمع قولك بصفته الرسـمية ينكر أنه علم بهذا القـول، فإن الأمة تثق فى قـسمك يا سيادة الرئيس، وتصـدق أنك تعـمل على رفع رايات الأزهر وإعـلاء شـأنه فى الخافقين، لأن عز مصر من عز الأزهر، وكرامة رئيس مصر من كرامة الأزهر، لكن المرجفين فى المدينة يبغون تدمير الأزهر وتخريبه، ولايصغون إلى رأى آخر، ولايستمعون إلى صوت مخالف، ويستخدمون القانون والسلطة والأمن فى قهر معارضيهم وتحويلهم إلى مجالس التأديب، وإسكات الآخرين بالترهيب والتخويف! وصدق شيخ المعرة إذ يقول :

جلوا صارما وتلوا باطلاً وقالوا صدقنا، فقلنا نعم!

يظن المرجفون فى المدينة أن تخويف الناس وإرهابهم سيحول دون أن نخاطبك بوصـفك الأمل الذى نحتكم إليـه بعـد أن تغلق كل الأبواب ويكشر الباطل عن الأنياب الحادة المسنونة، وبعد أن يقال إن كل مايقوله المعارضون لتخريب الأزهر غير صحيح!.

يا سيادة الرئيس..

يقول المسئولون فى الأزهر: إن انهيار التعليم فى معاهده وكلياته يرجع إلى تقصير المدرسين وإهمالهم، وهو أمر لايقبله عقل ولايستسيغه منطق، لأن الانهيار يرجع إلى المناهج والنظام أولا، قد يكون هناك بعض المقصرين، ولكن الأغلبية تعمل فى حدود المتاح، والمتاح لايسمح لهم بتخريج طلاب على المستوى المأمول؛ لأن الطالب الأزهرى لايحفظ القرآن الكريم، ولايدرس مناهج تتيح له إتقان العلوم الشرعية والعربية، ولأنه مثقل بمناهج أخرى لا علاقة بها بالدين أو الشريعة أو اللغة، فهو كالمنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى.. ثم جاء القانون الأخير الذى يحول الثانوية الأزهرية إلى ثانوية عامة ليكون الطامة الكبرى التى تقضى على البقية الباقية من الأزهر الشريف وتحوله إلى مجرد مدرسة أو فرع من فروع وزارة التعليم، لادين فيها ولا لغة ولاشريعة!

ياسيادة الرئيس..

إن تخريب الأزهر سياسة شريرة بدأتها بعض الجهات بالقانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١م، عندما حولت الأزهر عن مساره الطبيعى الذى يجعله ميدانًا لتخريج علماء الدين واللغة العربية وفقًا لتخصص دقيق يقوم أساسًا على حفظ القرآن الكريم ودراسة علومه مع علوم اللغة وآدابها.. ولايستطيع عاقل أن يوافق على أن تكون مهمة الأزهر تخريج الصيدلى والمهندس والكيميائى والبيطرى فى ظل حاجة البلاد إلى فقهاء فى الدين واللغة، يعلمون الناس أمور دينهم ودنياهم فى ظلال التسامح والحوار..

ومن ثم – ياسيادة الرئيس – يصبح تطوير الأزهر الأخير طعنة نجلاء فى جسد الأمة وليس فى جسد الأزهر فحسب، لأنها ستتيح للتطرف أن يأخذ مدى أبعد وصورة أكثر دموية لأن الجهل بأمور الدين واللغة سيكون سيد الساحة الأول الذى يأمر وينهى، ولن تجدى معه مقاومات أمنية أو دعائية، فالجهل لايقهره إلا العلم، والتزمت لايقهره إلا التسامح، والتطوير الذى قاده المسئولون فى الأزهر يقضى على العلم والتسامح معاً.

ولتوضيح ذلك– ياسيادة الرئيس– أقول:

١– إن اختصار علوم الدين واللغة وإثقال الطالب بمواد أخرى فى تخصصات أخرى ستخرج جاهلاً أحمق يسىء إلى الدين واللغة والدنيا جميعًا، والدليل على ذلك ما نراه فى المساجد والمعاهد، وما يعانيه الناس من بعض الجهلاء الذين يفسرون الدين على هواهم، أو اقتداء بجهلاء آخرين.

٢– إن نية المسئولين فى الأزهر إلغاء المذاهب الفقهية يعنى «برمجة» الطلاب فى اتجاه واحد، لايقبل حواراً ولا نقاشاً حول قضية الشريعة والعقيدة، مما يعنى إنتاج جيل أو أجيال من المتطرفين الحمقى الذين لايعرفون الرحمة ولا أدب الاختلاف فى الرأى.. ولنفرض مثلا أن مسح الرأس فى الوضوء الذى يمثل ركنا من أركانه درسه الطالب على أساس وجوب مسح جميع الرأس، فعندما يواجهه رأى مذهب آخر يقول: يكفى مسح ربع الرأس أو جزء من الرأس ولو شعرة، فإن الطالب لايقبل بهذا الرأى، بل قد يسعى إلى تكفير صاحبه، وتبدأ المضاعفات!

إن اختصار العلوم الشرعية واللغوية وإلغاء المذاهب الفقهية عمل مشين وجريمة منكرة وإساءة للوطن ورئيسه جميعًا، فمصر هى الأزهر الذى يقاس عليه ولا يقاس به كما يريد البعض.. ومصر هى درع الإسلام وقبلة المسلمين العلمية ولا يجوز لهذه القبلة أن تلغى مثلاً دراسة «الجهاد» من أبواب الفقه استجابة لما يقال عن السلام، وإلا كان من واجب الحكومات العربية والإسلامية أن تلغى الجيوش وتكف عن شراء الأسلحة والطائرات والدبابات بحجة أننا فى عصر السلام!

سيادة الرئيس..

ليتك تتدخل من أجل مؤتمر علمى محايد يقرر مصير الأزهر الشريف بما يليق بمكانة مصر، ورئيس مصر، وتاريخ مصر، والله معك.

الفقه الميسر . . وتأصيل العنف!

صدقنا ما قاله المسئولون فى الأزهر عندما تقدموا بمشروعهم المريب لتطوير الأزهر وإنقاص سنوات المرحلة الثانوية الأزهرية- التى سموها فيما بعد الثانوية العامة! - وقالوا: إن علوم الشريعة والعقيدة واللغة لن تمس ولن تختزل ولن تختصر.. ولكن الأحداث جاءت بعكس ما قيل وروى على الملأ وأمام عدسات الصحف وأجهزة الاتصال المسموعة والمرئية، فقد قرر المسئولون فى الأزهر الشريف إلغاء فقه المذاهب، وفرض كتاب موحد ومبتسر لتدريس العبادات على الصف الأول الإعدادى، وسيواصل الطلاب دراسة هذا المنهج القاصر بعيداً عن معرفة الفروق بين المذاهب الفقهية، وبعيداً أيضاً عن الدراسة الواعية المفترضة فى الطالب الأزهرى المتخصص فى علوم الدين واللغة!

لاريب أن تراجع المسئولين الأزهريين يمثل صدمة عنيفة للرأى العام فى مصر والعالم الإسلامى، لأنها كشفت عن فجوة غير مقبولة وغير منطقية بين مايقوله هؤلاء المسئولون وبين ما يطبقونه على أرض الواقع، وهو ما يؤكد على التحليلات التى ذهب إليها المعارضون لما يسمى تطوير الأزهر، حيث رأوا أنه يصب فى إطار يهدف إلى إفراغ الأزهر من محتواه والقضاء على طابعه المتميز وتحويله تدريجياً إلى مجرد فرع من فروع وزارة التعليم، لايعلم ديناً بصورة ملموسة ولايدرس لغة بطريقة فعالة.. وهو ما يهيئ لتخريج أجيال لا علاقة لها بالدين ولا باللغة، وتلتمس مصادرها الدينية

واللغوية فى أماكن غير مؤهلة مما يؤدى إلى ما يعرف بالتطرف والإرهاب!

إن البعض يتجاهل حقيقة أن الشعب المصرى بكل طوائفه الدينية والاجتماعية شعب متدين ولم تؤثر المحاولات المختلفة لبعض القوى الأجنبية أو المحلية- على مدى التاريخ- فى ميل شعبنا الفطرى إلى العبادة والالتزام بالأخلاق الفاضلة والإيمان بالوحدانية ولقاء الله يوم البعث وانتظار الحساب ثوابًا وعقابًا.

هذا التجاهل للحقيقة الأزلية يدفع البعض إلى الاستهانة بالدين عمومًا، أو يتصور خطأ أن التمسك بالدين يمكن أن يكون سببًا من أسباب القلق الاجتماعى، وهو ما يسوغ به تجاهل الدين وتهميشه سواء فى مجال التعليم أو فى الحياة العامة، ولكن النتيجة كما نعلم لاتسر أحدًا والضحايا يتجاوزون الدائرة الفردية إلى الدائرة العمومية، مما يخلف متاعب اجتماعية تصعب معالجتها!

والذين فكروا فى إلغاء فقه المذاهب لم يفكروا فى عواقب هذا الإلغاء على أى مستوى من المستويات، ولم يدركوا أن تفريغ الطالب الأزهرى يعدّ أسوأ دعاية للأزهر، وأنه يمثل تقهقهرًا وتراجعًا فى دوره العلمى والحضارى فضلاً عن تأصيل العنف فى المجتمع من خلال أجيال لاتعرف إلا آراء سطحية وهامشية فى المجال الفقهى، ولاتقبل بآراء أخرى مما يولد تعصبًا فى الفكر يقوم على جهالة فى العلم.

لقد حاولت بعض الدول العربية أن تقيم مؤسسات موازية للأزهر لتحوز مكانه ومكانته ولكنها أخفقت إخفاقًا ذريعًا لسبب بسيط، وهو

أنها لم تتسامح مع المذاهب الفقهية الأخرى المتعددة، وفرضت مذهبًا واحداً تعتنقه الحكومة فخرج الطلاب إلى الحياة العامة لايعرفون غير هذا المذهب، وإذا واجههم أحد بآراء المذاهب الأخرى رفضوه بل ربما كفروه وقاطعوه وحملته بعض الهيئات على التوبة والاستغفار.. وإن لم يفعل عد مخالفا يجب تعزيره بالجلد أو السجن! ولنا بعدئذ أن ندرك نتائج ذلك كله على صورة الإسلام ورد الفعل لدى بعض الذين يرحبون بقيم أجنبية معادية للإسلام والأوطان جميعًا.

إن الأزهر منذ إنشائه وهو يمثل السماحة والوسطية وقبول الآخر المخالف فى المذاهب، بل المخالف فى العقيدة، وفى الزمن الماضى كان الطلاب يدرسون الفقه المالكى مثلاً فيرون فى داخل المذهب آراء عديدة لشيوخ عديدين فى المسألة الواحدة، وفى الوقت ذاته يعلمون أن المذاهب الأخرى لها آراؤها ويقرأون فى المتون والحواشى- التى يسخر منها البعض- ما يقوله السادة الحنفية، والسادة الشافعية، والسادة الحنابلة، وتأمل كلمة «السادة» التى تعبر عن احترام غير مسبوق فى الحضارات الأخرى، للآراء المخالفة والمغايرة!

إن تحويل الطالب إلى دراسة موحدة ومسطحة جريمة حتى لو كان حسن الظن هو الدافع إليها، وكان من الواجب أن يكون هناك حوار ومناقشات وندوات تتناول الأمر قبل تنفيذه وتعميمه بهذه الصورة المباغتة، التى أثارت الكثير من التساؤلات وأكثرت من الشكوك حول مايراد بالأزهر الشريف وتاريخه المجيد ومستقبله القادم! ومن المؤسف أن

يكون الاندفاع فى تعميم المذهب الهجين عاملاً فى ارتكاب جريمة أخرى هو السطو على عنوان كتاب مشهور بالاسم ذاته هو «الفقه الميسر» ألفه الشيخ أحمد عيسى عاشور- رحمه الله- على المذهب الشافعى فى جزءين كبيرين أحدهما فى العبادات والآخر فى المعاملات، وقد أشار -رحمه الله- فى ثنايا كتابه إلى آراء فقهية من المذاهب الأخرى للتيسير على عباد الله من القراء العاديين، فكيف يسمح مؤلف أو مؤلفو كتاب «الفقه الميسر» للمعاهد الأزهرية لأنفسهم بارتكاب جريمة السطو على عنوان كتاب مشهور ومتداول بين الناس على مدى السنوات العشرين الماضية؟هل مثل هذا العمل يعد من الأمانة؟ أم إن الاندفاع لقهر الخصوم، وإثبات السطو وقوة الهيمنة من مسوغات تطوير الأزهر المزعوم؟

إننا نقدم نصيحة لوجه الله الكريم وللسادة الذين يظنون أنهم فى مأمن من حساب الله، ونقول لهم: إنكم تزرعون العنف، ومصر هى التى ستجنى ثمار ما تزرعون، فاتقوا الله فى وطنكم ودينكم!.

الوجه الآخر لمشكلة الأزهر !

يحظى الأستاذ « محمد الحيوان »[1] بتقدير الكتاب والقراء من معظم الاتجاهات بسبب موضوعيته وعقلانيته ونفاذه إلى أعماق الأمور، وذلك منذ كان نائبًا لرئيس تحرير « الجمهورية » يكتب « كلمة حب » ويشرف على عددها الأسبوعي حتى انتقل إلى « الوفد » ينطلق بكلماته إلى مدى أوسع وأعرض وأكثر جرأة .. قد نختلف معه أحيانًا ولكن احترامه يظل قائمًا، فرأيه بعيد عن الغرض الشخصي في القضايا القومية والوطنية والإنسانية، ولديه قدرة فريدة على صياغة كلامه دون أن يجرح أو يخدش أو يقع فريسة للانفعال.

وكان مقاله في « الوفد » ٣١ / ١٠ / ١٩٩٨م، حافزًا على كتابة السطور التالية تذكيرًا ببعض ما جرى بشأن الأزهر ودعوى تطويره والخلاف بين المسئولين فيه وبعض العلماء المعارضين لهذه الدعوى وما يتعلق بها.

فقد رأى الأستاذ « محمد الحيوان » أن هناك تطاولاً على علماء الشريعة، وهذا التطاول يؤدي إلى غياب الأزهر، وبالتالي غياب صحيح الدين مما يفتح المجال للتطرف والإرهاب والفتوى بدون علم، وأيضًا « يفتحها على الآخر » لأعداء الإسلام وأنصار العلمانية ودعاة التنوير بغير علم ولا دين.

---

(١) انتقل إلى رحمة الله قبل فترة (أكتوبر ٢٠٠٠م) عن ٦٩ عامًا تقريبًا.

ويؤكد الأستاذ «محمد الحيوان» أن هناك مشكلة بلاشك داخل الأزهر وحواراً خرج عن أصوله وتقاليده ولايجوز أن يخرج الخلاف إلى الصحف، وأحسب المسألة لها وجه آخر غير الذى رآه الأستاذ «محمد الحيوان» يمكن إجماله فى النقاط الآتية:

أولاً: دخل إلى ساحة الأزهر عدد من المسئولين الأجانب والشخصيات المعادية للإسلام والمسلمين، منهم آل جور نائب الرئيس الأمريكى(١)، وتونى بلير رئيس وزراء بريطانيا، والحاخام اليهودى لاو، والسفير الصربى بالقاهرة وسفير أمريكا فى القاهرة أيضاً، مما أشعل الرأى العام غضباً وحنقاً، ولم يكن الغضب والحنق من جانب علماء الأزهر وحدهم أو جبهة العلماء وحدها، ولكنه امتد إلى آخرين من الجامعات الأخرى وأقلام مختلفة اتفقت على استهجان ما يجرى فى ساحة الأزهر ولكل أسبابه ومسوغاته.

ثانيا: فى حدود ما أعلم لم أقرأ حرفًا واحداً فيه تطاول من جانب المعارضين لما يجرى فى ساحة الأزهر على أى مسئول أو موظف فى الأزهر الشريف، ولكن المؤكد الذى يعلمه الناس جميعاً، أن هناك سبًا وقذفاً وشتماً صدر من جانب بعض مسئولى الأزهر ضد المعارضين أقله أنهم جبناء ومرتزقة وأولاد (....) وقد صدرت جريدة «الوفد» ذات يوم وعنوانها الرئيسى يحمل تصريحات السب والقذف والشتم صادرة عن أحد المسئولين فى الأزهر الشريف(!)

ثالثا: فوجئ الناس بمشروع يقدمه المسئولون فى الأزهر إلى مجلس

---

(١) آل جور كان نائبًا للرئيس كلينتون، ورشح نفسه للرئاسة ولم يفز فى انتخابات ٢٠٠٠م.

الشعب لاختصار سنوات الدراسة الثانوية إلى ثلاث سنوات بدلاً من أربع ورافق ذلك اختزال لساعات التدريس فى مواد القرآن الكريم والشريعة واللغة والأدب لصالح المواد الثقافية، وقد ووفق على المشروع فى المجلس وتبعه إلغاء فقه المذاهب لأول مرة منذ ألف عام فى الصف الأول الإعدادى، على أن يستمر الطالب فى السنوات التالية بلا دراسة مذهبية. مما يمهد الطريق لضم التعليم الأزهرى إلى التعليم العام- أى إلغاء الأزهر علمياً وعملياً! - ويصنع متطرفين جهلاء يقودون البلاد والعباد إلى شر مستطير!

رابعا: كان المفترض من أجل تطوير الأزهر تطويراً حقيقياً يعيد إليه تميزه ووظيفته الأصلية فى تخريج علماء شريعة ولغة وأدب، ويرفع عنه كاهل القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١م، الذى أزرى بالأزهر وأدخله فى متاهات لاتمت إلى واجباته أو وظيفته الأصلية بصلة، أن يكون هناك حوار وشورى بين المعنيين من علماء الأزهر وخبراء التعليم وعلماء الأمة الإسلامية الذين يعنيهم أمر الأزهر مثلنا تماما، ولكن الذى جري تم بعيداً عن هؤلاء جميعا، ورافقته حملة ضارية ضد المعارضين من الأزهريين شملت التقديم لمجالس تأديب والحرمان من الوظائف القيادية، ومخاطبة الرأى العام فى الإذاعة والتليفزيون والتلويح للعمداء بعدم التجديد... إلخ، وفى الوقت ذاته أوحى إلى الناس أن هذه إرادة القيادة السياسية، وهو محض اختلاق، لأن القيادة السياسية فيما أعلم مشغولة بقضايا أخرى ولايعنيها تخفيض سنة فى التعليم الأزهرى أو زيادتها.

خامسا: إن تدمير الأزهر وتخريبه يسىء إلى مصر وإلى قيادتها السياسية التى تمثل فى العالم الإسلامى منذ استقلاله رمزاً لعقل الإسلام، وتحظى

باهتمام قد يفوق الاهتمام بالقيادات المحلية. . ومن ثم فالأزهر شأن عام لايخص موظفيه وحدهم، ولكنه يخص المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها. . ولاشك أن الجهات التى تسعى إلى تدمير الأزهر وتخريبه، تقصد الهيمنة على مصر والمسلمين، لأن سقوط الأزهر يعنى سقوط المقاومة والجهاد.

سادسًا: يظل احترام علماء الأزهر وشيوخه واجبًا على المسلمين جميعًا، فلهم مكانتهم التى توجب التقدير والتوقير، ولكن ذلك لايعنى إضفاء القداسة والعصمة عليهم، فالقداسة لله وحده، والعصمة لنبيه ﷺ. . ومن ثم، فإن مناقشة ما يتعلق بالأزهر ومصيره واجب على أصحاب الرأى والفكر، وإن لم يفعل هؤلاء فإن على الأزهريين أن يطلبوه ويلحوا فى طلبه ليستضيئوا به ويستنيروا. . إعمالاً لمنهج الإسلام: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ**﴾ [الشورى: ٣٨]، ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

سابعًا: من المؤكد أن هناك خللاً جرى فى الأزهر على مدى السنوات القليلة الماضية، سواء فيما يتعلق بالمناهج أو الساعات التدريسية أو القرارات الإدارية أو القوانين التشريعية، فضلاً عن نشوء لغة جديدة وغريبة على الأزهر والأزهريين فى الحوار مع المعارضين، وهو ما يستدعى مؤتمرًا موسعًا فى رحاب الأزهر الشريف لمناقشة هذا الخلل وطرح الحلول المناسبة لإصلاحه حرصًا على الأزهر ومصر، وقبل ذلك الإسلام.

وإذا كان هذا مجمل ملامح الوجه الآخر لمسألة الأزهر، فإننى أتفق مع الأستاذ «محمد الحيوان» فى تأكيد وجود «مشكلة داخل الأزهر» وأزمة فى الحوار، ويجب حل المشكلة والأزمة معًا.

والله الهادى إلى سواء السبيل.

قراء القرآن الكريم

كانت حلقة ناجحة التى أذاعها والتليفزيون المصرى وقدمها الصحفى الساخر المعروف «محمود السعدنى» مع قراء القرآن الكريم حول المستوى المتدنى فى الحفظ والأداء والصوت، وواضح أن السعدنى على دراية جيدة بالموضوع ولعلى قرأت خبراً عن صدور كتاب له حول أشهر القراء فى مصر منذ فترة ليست بعيدة.

ما رأيته فى الحلقة كان لقاءات مع بعض القراء المعروفين وطفل صغير يحفظ بعض سور القرآن ومسئول فى الأزهر.. كان السؤال الذى أثاره السعدنى حول «عصر البلاستيك» فى القراءة، وفى السلوك وفى حياتنا المعاصرة بصفة عامة، وقد سمع إجابات متباينة ممن التقى بهم، تراوحت بين الوعى بحقيقة الأزمة والاستسلام لها وعد ما هو كائن أبدع مما فى الإمكان.. وعندما تساءل السعدنى بذكاء عن الفرق بين الشيخ على الإسماعيلى والشيخ على عجور والشيخ على البورسعيدى، كان يشير بوضوح إلى الخلل الذى أصاب رؤية البعض حين يصبح الشيخ عجور أفضل القراء بعد الشيخ محمد رفعت! السعدنى يسمى تسميات ساخرة، لأن الذين أمامه أو بعضهم- بمعنى أدق- لايدركون مدى النكبة التى حلت بكل شيء جميل فى حياتنا فى الوقت الذى يسعون فيه لتنمية مصالحهم الخاصة ومنافعهم الشخصية وليذهب ما بعدها إلى الجحيم!

السعدنى يعلم أن العصر الذهبى لقراء القرآن الكريم جاء مع ازدهار الأزهر الشريف، والأزهر الشريف عرف الازدهار فى عصر الحرية وارتقاء الوعى القومى وصعود المد الإسلامى، فأنجب الكوكبة المضيئة التى أنارت مشارق الأرض ومغاربها بالقراءة الجيدة والتلاوة المحكمة والصوت الجميل، وعرف الناس على امتداد المعمورة أمثال الشيخ أحمد ندا والشيخ محمد رفعت والشيخ مصطفى إسماعيل والشيخ محمود الحصرى والشيخ على محمود والشيخ طه الفشنى والشيخ عبد العظيم زاهر والشيخ منصور الشامى الدمنهورى والشيخ محمد فريد السنديونى والشيخ محمود على البنا والشيخ عبد الباسط عبد الصمد والشيخ الشعشاعى الابن والشيخ البهتيمى والشيخ المنشاوى الشقيق الأكبر والشيخ المنشاوى الشقيق الأصغر والشيخ أبو العينين شعيشع.. وغيرهم.

كان الأزهر كعبة العلم، يقصده الطلاب من كل مكان يحفظون القرآن الكريم ويدرسونه ويجودونه ويستشهدون به ويضمنونه خطبهم وموضوعات إنشائهم ومقالاتهم وأشعارهم، وكان لايدخل أحدهم الأزهر دون أن يحفظه مهما كانت وساطته ولايبقى فيه إلا من يخلص للقرآن ولغته ومنهجه.. أما غير المخلص فكان خبثا ينفيه الأزهر ويرفضه إلى الأبد!

لذا خرجت من الأزهر فى النصف الأول من القرن العشرين أعلام فى قراءة القرآن الكريم، وفى الأدب والشعر واللغة القومية والدعوة والصحافة والإذاعة.. لأنه المدرسة الحقيقية للقرآن، أما ما جرى للأزهر بعدئذ ومنذ

القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١م، فأمره معروف لايخفى على السعدنى، ولا على غيره من المتابعين لمسيرة التقهقر والتدهور التى جرت لآدابنا وعلومنا وتعليمنا وأخلاقنا بسبب تدمير الأزهر وتخريبه على يد بعض أبنائه وبأمر أعدائه وأعداء الدين الذين رأوا فى بقاء الأزهر قلعة للمقاومة وحصنًا للعروبة والإسلام خطرًا داهمًا عليهم وعلى أتباعهم فى الداخل.. لقد وصلت الحال بالأزهر الذى كان معمورًا أن صار طلابه لايعرفون الفارق بين الفاعل والمفعول ولايحفظون من القرآن جزءًا كاملاً حفظًا صحيحًا.. فهل ننتظر من هؤلاء أن يقدموا لنا قارئًا جيدًا للقرآن الكريم يحفظه ويجوده ويتلوه بصوت حسن؟! كلا وألف كلا.. إن تدمير الأزهر الذى يمضى على قدم وساق ليتحول إلى «تعليم عام» يصبح فيه الدين وعلومه واللغة وآدابها شيئًا هامشيًا، هو سبب البلاء الذى تعيشه الأمة، هو سبب التطرف والجهل الدينى وضعف اللغة وتدهور الأدب ورداءة الشعر وهبوط الأغنية.. وأخال السعدنى يضحك منى الآن عندما أتحدث عن هبوط الأغنية وأقول له بكل بساطة إن كبار المطربين الممتازين كانوا يحفظون القرآن، ويقرأونه قراءة جيدة، ويتذوقون الشعر العربى القديم والحديث وينشدونه، هكذا كانت أم كلثوم وكان عبد الوهاب والسنباطى والشيخ زكريا أحمد والشيخ سيد درويش والشيخ أبو العلا.. وكانت «فيروز» المارونية غير المسلمة تحفظ القرآن فى أحد كتاتيب الجبل فى لبنان، فجاء أداء الجميع رائعًا وقويًا وجميلاً.. قل لى يا عم محمود السعدنى: هل يستطيع أعلام الموجة «الهبابية» فى الغناء الآن أن يرتلوا آية قرآنية واحدة؟

بل هل يستطيعون أن يؤدوا قصيدة قصيرة بالفصحى- بلاش أراك عصى الدمع-؟ الإجابة بالطبع هى النفى التام!

يوم يعود الأزهر مدرسة للشريعة واللغة فقط يملك استقلاله وإرادته سيتخرج القراء المأمولون.. لن نجد قراء «البيزنس» الذين اتخذوا القرآن تجارة وعمارة و«مرسيدس» ومحمولاً، ثم يقاولون على الليلة بعشرات البواكى، وهم لايحفظون إلا ربعين أو ثلاثة أرباع أو نصف جزء على الأكثر، ويغنون قبل أن يرتلوا، ويصيحون قبل أن يجودوا، وينعقون دون أن ينغموا.. ولن نحتاج إلى لجنة الاستماع التى تعين ٢١ من ٢٠، يتقدمون إليها حسب التعبير الساخر الجميل للسعدنى، لقد قلت لعضو بارز فى هذه اللجنة ذات مرة: اتقوا الله فى أسماعنا وأفئدتنا وابعدوا عنا هذه الأصوات «البلاستيكية» التى تفتقد الرواء والنضارة، فرد على بغطرسة: إنها سنة الأجيال، جيل وراء جيل.. وسكت.. وسكت، فقد أحسست أن سيادته لايعنيه أمر القرآن ولا أمر الإسلام بقدر ما يعنيه منصبه ومغانمه!

وللقرآن رب يحميه! وشكرًا للسعدنى على كل حال.

مجلس الوزراء.. وانهيار التعليم!

انهيار التعليم فى مصر صار حقيقة واقعة يعترف بها الجميع باستثناء بعض الناس الذين تحركهم دوافع عاطفية أكثر منها علمية موضوعية، وما استدعاء وزارة الداخلية لتقوم بمطاردة مراكز الدروس الخصوصية والمدرسين الذين يقومون بها، ثم تدخل ضباط الشرطة وعساكرها للسيطرة على طلاب بعض المدارس وفض المشاغبات إلا دليل ساطع على خلل عظيم أصاب التعليم فى بلادنا، بل أصاب كبد المجتمع المصرى وقلبه فى مقتل، حيث فوجئ الناس بجيل جديد تتوزعه الرغبة الإجرامية فى التدمير والتخريب ويحركه الجهل والعنف ويشقيه الضياع والبؤس، وهو ما يعنى أن المستقبل فى مصر لايبشر بأى خير، مهما بذلت الحكومة من جهود فى مجالات أخري.. لأن السؤال هو: ما فائدة تلك الجهود فى مجتمع يفتقد أفراده العلم والوعى والأخلاق؟

إن انخفاض المستوى العلمى فى التعليم العام وبالتالى فى التعليم الجامعى يؤكد على الخلل فى نظام التعليم ومناهجه، والأمر ليس بحاجة إلى بحوث ميدانية لتصل إلى هذه النتيجة، فالمدرسون والأساتذة يدركون الأمر بوصفه بدهية لاتحتاج إلى برهنة، ثم إن أوراق الإجابة للطلاب فى أية مرحلة تعليمية وأية فرقة دراسية تؤكد على مستوى متدن ووعى ضحل.

ولاريب أن هيمنة التعليم الموازى (الدروس الخصوصية ومجموعات التقوية) تؤكد على انتهاء دور المدرسة فى التربية والتعليم عمليًا وواقعيًا،

وإذا عرفنا أن مجموعات التقوية، وهى الدروس ذات الأجر المخفض التى تدرّس عقب انتهاء الحصص الرسمية، اعتراف رسمى بقصور العملية التعليمية وتقصير المدرسة فى تقديم التعليم المطلوب للتلميذ كما ينبغى، فضلاً عن تقنين رسمى- أيضًا- للدروس الخصوصية وهو ما يتطلب ألا تقتصر مطاردة الشرطة للمدرسين فى مراكز التقوية وحدهم، بل تمتد إلى مدرسى المجموعات، حرصًا على هيبة المدرسة الرسمية، وعطائها المفترض.. إن واقع الحال يشى بأن الاعتراف الرسمى بالدروس الخصوصية (مجموعات التقوية) كان معولاً حاداً ضربت به الحكومة فى أساس الجدار القائم للتعليم الرسمى، فبدأ يتهاوى ويترنح.

ثم إن الانحراف السلوكى للطلاب، وخاصة فى المرحلة الثانوية والمرحلة الإعدادية، والمتمثل فى الشغب والعنف ضد إدارة المدرسة وضد المعلمين وفوضى الحضور والانتظام المدرسى، جعل الواقع التعليمى حالة غريبة على مصر والمصريين، ويومىء إلى أن الطلاب (قادة المستقبل) لن يحققوا للوطن ما يأمله، إنهم سيكونون قنابل موقوتة تستعد لتفجير المجتمع بالخراب والدمار والعنف والدماء.. أسباب ذلك كثيرة وعديدة، يأتى على رأسها محاولة التغطية على الإخفاق فى العملية التعليمية بكسب عواطف بعض الآباء والأمهات من خلال عدم محاسبة الطلاب وإلغاء أعمال السنة ومطاردة المتدينين من المعلمين والطلاب، والانشغال بقضايا أمنية من اختصاص وزارة الداخلية مثل محاربة الحجاب والنقاب، ونقل المعلمين المتدينين إلى أعمال إدارية وإغلاق المساجد فى المدارس،

ورفع سلاح أو اتهام التطرف والإرهاب ضد كل دعاة الإصلاح ومحاربى الفساد فى المجتمع التعليمى حتى صارت البلطجة مع الانحراف هى الطابع العام على أخبار المدارس.. ووصلت الحال إلى أن يقوم الطلاب بطرح معلمة على الأرض فى مدرسة إعدادية بمدينة دسوق (وتعد من الأرياف التى يفترض فيها سيادة القيم الطيبة) ثم الاعتداء على المدرسة (الوفد ١٢ /٣ /١٩٩٩م)، وفى يوم نشر الخبر السابق نشرت «الأهرام» خبر اعتداء وحشى من طلاب مدرسة التجارة الثانوية بمنطقة الظاهر وتوثيق أحد المدرسين بالحبال، وتدخلت الشرطة لتفرض النظام وتقبض على المعتدين، إن طالب المدرسة لايعرف الآن شيئًا عن دينه (مسلمًا أو غير مسلم) لأن مادة التربية الدينية قد ألغيت عمليًا فهى لا تضاف إلى مجموع الطالب، وبالتالى لاينظر فى كتابها إلا ليلة الامتحان، وسواء نظر أو لم ينظر، كتب أو لم يكتب، فهو ناجح فيها بكل تأكيد.. والسؤال: لماذا لاتكون مادة التربية الدينية مثل بقية المواد؟ فتسمع من يقول: بأنها ستكون مدعاة للفتنة الطائفية!! ومن يقول إنها ستكون مجالاً لعدم التكافؤ بين الطلاب المسلمين وغير المسلمين.. وهذا هزل ما بعده هزل، فمن يعرف دينه جيداً لايشعل فتنة طائفية، ولايمشى بين الناس بالشر وعلى فرض أن الطلاب غير المسلمين سيحصلون على أماكن أفضل فى الجامعات.. أليس ذلك خير من تخريب المجتمع كله؟ ثم إن هناك أكثر من وسيلة لتحقيق العدل والإنصاف فى تصحيح الامتحانات يستطيع المتخصصون الوصول إليها.

إن البعض يختزل انهيار التعليم فى الحملة ضد وزير التعليم وهذا ليس صحيحًا، فالوزير ينفذ سياسة حكومة وهذه السياسة قد تخطئ وتصيب ، ولا يوجد أحد يعارض أن يعيش أبناؤنا أحدث التطورات العلمية والتقنية، ولايوجد أحد يعارض فى استخدام الكمبيوتر والحاسبات الآلية، ولكن تفريغ الطالب من القيم والمثل والهوية هو الذى يوجب الاعتراض بل يوجب المناهضة.. وليكن لنا فى عدونا اليهودى وكيف يصنع بأبنائه دليل يهدى الحيارى ويرشد الضالين. إنه متمسك بدينه الأسطورى، وهويته الملفقة ، وتراثه المزيف.. مع أن ديننا حقيقى وهويتنا فطرية، وتراثنا إنسانى!

من واجب مجلس الوزراء ترك كل القضايا والتفرغ لأسابيع كى يناقش انهيار التعليم، وطرح الحلول والبدائل من خلال توصيات المجالس القومية المتخصصة، واتخاذ القرارات المؤلمة فيما يتعلق بالمناهج أو المعلمين أو الطلاب.. فكل عنصر من هذه العناصر يحتاج إلى رؤية جديدة ومعاصرة تتجاوز الإنشائيات الفارغة والشعارات الجوفاء والدعاية الصاخبة.

إن انهيار التعليم أشد قسوة وتأثيرًا من انهيار الجنيه المصرى أمام الدولار الأمريكى.. لأنه يتعلق بالإنسان المصرى الذى ينبغى أن يكون متدينًا ومستقيمًا ومنتجًا ومبدعًا ومخلصًا وظافرًا.

انهيار التعليم.. والقرارات المؤلمة!

تقاس قوة الأمم بمدى توفيق نظامها التعليمى فى تحقيق أهدافها وغاياتها، ولايمكن لهذا النظام أن يؤتى ثماره مالم يعبر عن هوية الأمة وشخصيتها الثقافية والحضارية، ويدفع أبناءها فى الوقت نفسه إلى الإبداع والإنتاج لدرجة الاكتفاء الذاتى على الأقل والمشاركة فى مجالات العلوم البشرية المشتركة.. وقد استطاعت اليابان والصين واليهود فى فلسطين المحتلة، فضلاً عن دول أوروبا الغربية والولايات المتحدة وكندا أن تقدم نماذج لما يمكن أن يصنعه النظام التعليمى فى تأسيس المواطن على العقيدة الدينية والقومية والحضارية.

للأسف فشلت معظم الدول الإسلامية والعربية من بينها فى تحقيق شىء يذكر بمقاييس التقدم العالمى، حقا لقد خرجت النظم التعليمية فى بلاد العرب والمسلمين نوعا من المواطنين من أجل الوظائف دون إبداع أو إنتاج يحسب لهؤلاء المواطنين أو لهذه النظم، ولعل ما فعله «كرومر» و«دانلوب» وأشباههما فى مصر والعالم العربى والإسلامى يقدم دليلاً حيا على قصور النظام التعليمى فى بلاد الإسلام.

لقد ركز نظام «كرومر» على نفى الهوية الإسلامية عن مواطنى هذه البلاد، ووجدنا عندنا من يعلن بفخر أنه يحارب «الإسلام السياسى» فى مجال التعليم، فى الوقت الذى يتناسى فيه أنه يمثل دعمًا محليًا لأعداء

الأمة والدين حين يستخدم مصطلح «الإسلام السياسى» الذى صكوه وصدروه إلى بلادنا، كما يتناسى أنه يخدم أعداء الأمة والدين حين يطارد الإسلام وتصوراته فى المناهج الدراسية والمقررات التعليمية ولايحقق غير الإخفاق الذريع..

لقد تحدثت من قبل عن معالم انهيار التعليم، وطالبت مجلس الوزراء أن يتخذ القرارات المؤلمة لإصلاح مسيرته وإنقاذ الوطن من مستقبل غير واضح الملامح على يد جيل وقع فريسة للعنف والجهل، لقد تراجع دور المدرسة عن أداء دورها فى التربية والتعليم وتحول بعض المسئولين عن العملية التعليمية إلى دور آخر هو من صميم اختصاص رجال الأمن ووزارة الداخلية!، إن مايريده المخلصون هو انطلاق التعليم إلى آفاق الحلم القومى الإنسانى الذى يجعل المواطن المصرى منتميًا ومنتجًا ومبدعًا وفعالاً ومستقيمًا، لذا فإنى أتصور من وجهة نظري أن يركز مجلس الوزراء على تحقيق ما يلى مهما كان مؤلمًا وقاسيًا:

١- مضاعفة مرتبات المعلمين وتعيين المتفوقين دون الضعفاء، وتطبيق التجربة اليابانية بالنسبة للمعلمين وهى التجربة التى طبقت عقب الهزيمة فى الحرب العالمية الثانية وفق إمكاناتنا المادية.. وتتلخص التجربة اليابانية فى منح المدرسين مرتب الوزير وصلاحية وكلاء النيابة فى توجيه الاتهام للخارجين على القانون، ولا أطمح بالطبع إلى التطبيق الحرفى للنظام اليابانى، ولكن على الأقل الحفاظ على كرامة المعلم ماديًا ومنحه الحصانة ضد سفهاء المجتمع، طلابًا أو أفرادًا، وفى المقابل، فإن التخلص من المعلم

غير الكفء أو غير المستقيم يصبح ضرورة بعد تشكيل لجان نزيهة لايكون هدفها الأساسى « استئصال الإسلام »!

٢- إعادة التربية الدينية- إسلامية وغير إسلامية- إلى دائرة المواد الأساسية التى تضاف إلى المجموع.. وفتح مساجد المدارس أمام الطلاب وتشجيع حفظ القرآن.

٣- إلغاء النظام الفصلى وإعادة النظام القديم ليستطيع الطالب دراسة المادة دراسة جيدة تأخذ حظها من الوقت والإتقان.

٤- إعادة أعمال السنة ومادة السلوك إلى الواقع التعليمى بصورة جادة وعادلة وفعالة لتكون رادعا للبلطجة والانحراف.

٥- ضرورة معاقبة الطلاب المخالفين بوساطة مدير المدرسة وحده، وبعد تقدير المخالفات تقديرا يتفق مع العقوبة التى تصل إلى « الضرب » الذى يعيد المخالفين إلى الصواب.

٦- إعادة النشاط الثقافى والاجتماعى إلى المدارس وتكوين الجمعيات الثقافية: خطابة وإذاعة وإقامة الندوات واستضافة شخصيات المجتمع لبث القيم العليا والتعريف بالقضايا الكبرى التى تهم الوطن وتشغله، بعيداً عن النشاط الشكلى والجمعيات المكونة على الورق.

٧- يجب تدريس التاريخ وفقًا لرؤية علمية محايدة تركز على جهاد الشعب المصرى والشعوب العربية والإسلامية وتقدم الحضارة الإسلامية..

وإنجازاتها المتميزة وتأثيرها على الإنسانية والعالم مع عدّ التاريخ مادة إجبارية فى المراحل الثلاث لاتخضع للاختيار أو التشعيب.

٨- بالنسبة للغة العربية فإن فصل موادها صار ضرورة وخاصة النحو ومحاسبة الطالب على أساس أن فروع اللغة العربية مواد مستقلة لايكمل بعضها بعضاً كما هى الحال السائدة الآن، وهى حال مؤسفة تجعل الطالب يكتفى بموضوع التعبير وسؤال القراءة لينجح!

٩- آن الأوان لإلغاء المرحلة الأولى من الثانوية العامة وجعلها مرحلة واحدة تتم فى الصف الثالث الثانوى وحده، وبذا يخف «الاحتقان» الذي يصنعه النظام الحالى على مستوى الدروس الخصوصية أو على مستوى عدد الناجحين الذين يحلمون بدخول الجامعات من أصحاب المجاميع المرتفعة.

١٠- يجب - ارتباطاً بما سبق - تشجيع التعليم المهنى والفنى بتوفير فرص العمل للمتفوقين فيه، وفتح الأبواب أمام الخريجين بصفة عامة فى المصانع الجديدة وشركات الاستثمار الزراعى والصناعى والتجارى والخدمى بما يخفف الضغط على التعليم الثانوى وبالتالى الجامعى.

تاريخ مصر فى أيدى المجروحين!

أسلوب رخيص ذلك الذى يلجأ إليه بعض الكتاب لتحريض السلطة وأجهزة الأمن ضد زملائهم المخالفين فى الرأى والتصور!

وأسلوب رخيص ذلك الذى يلجأ إليه بعض الكتاب لترك القضايا العلمية والحوار العلمى والجنوح إلى السب والقذف والاتهام بالجهل من أجل تحقيق انتصار أجوف.

وأسلوب رخيص ذلك الذى يلجأ إليه بعض الكتاب حين يزعمون أنهم وحدهم يحتكرون الحق والحقيقة، ويرون أن غيرهم لايملك غير الأفكار المريضة والعبث!.

لم أكن أتصور حين كتبت تعليقًا قصيراً على مقالة صديق صحفى حول كتاب زميل جامعى، ودعوت إلى حوار علمى صحى خلاق، أن هناك من يتربص ليفرش «الملاءة» فى حالة هستيرية لا تعبأ بقيم العلم أو الزمالة أو الحوار الموضوعى.

رد الصديق الصحفى على موضوعى رداً علميًا مهذبًا، أتفق معه أو أختلف سيان، ولكن يبقى جوهر المحاورة مؤديًا إلى مزيد من التفاهم والبحث وإثراء الساحة بالمزيد من الأفكار والرؤى التى تساعد على تصحيح المفاهيم أو إضاءتها.. ما قال الصديق الصحفى كلمة نابية، ولانزل إلى مستوى الردح، ولاسقط فى هوة التحريض الرخيص، ومن هنا اكتسب احترام المخالفين قبل المؤيدين.

يظن بعض المجروحين الذين يلعبون على كل الحبال، أنهم يستطيعون بالتحريض الرخيص إخافة غيرهم وإزاحتهم من الطريق ليحلو لهم الجو، ولينشروا أكاذيبهم وضلالهم و«لولبياتهم» فى خدمة كل سلطة وكل مسئول.. ولكن خاب ظنهم، فالتحريض لايخيف إلا المجروحين الباحثين عن المغانم والمكاسب على حساب كل ما هو شريف وقيم ومضىء، أما من يؤمن بأن الأعمار بيد الله، والأرزاق بيد الله- جل وعلا- فلايلتفت إلى هذا الهراء ولا يخشاه.

لقد سادت الفترة الاشتراكية في مصر لغة التحريض، وصار الاتهام بالرجعية أيامها طريقًا للوصول إلى قلب الحكام والمسئولين، واليوم تعود النغمة ذاتها مع استبدال الإرهاب بالرجعية ووصم كل من يتحدث عن الإسلام هوية وطريقًا بالتخلف والظلامية والجمود.. إلخ، ثم الاتهام الخسيس بالانتماء إلى جماعات العنف والتطرف، ليكون كل ذلك وسيلة للمجروحين وأشباههم كى يثبتوا عميق ولائهم وإخلاصهم للسلطة، ويرتبوا على ماسبق مطالب آثمة بالإقصاء والاستئصال لمخالفيهم أو معارضى السلطة.

ينسى المجروحون أن العقائد لا تستأصل بقطع الأرزاق أو بالتعليق على حبال المشانق لسبب بسيط وهو أنها «جلد الإنسان العارى»لايمكن التفريط فيه أو بيعه فى السوق، أما من لا عقائد لهم فهم يبيعون كل شيء ويفرطون فى كل شيء.

إن الجامعة مركز بحث علمى، تتعدد فيها الآراء والتصورات، ولو لم

تكن كذلك لكانت فرعًا للحزب الحاكم يسودها الرأي الواحد والفكر الواحد والاتجاه الواحد، والذين يحرضون وزير التعليم مثلاً ضد زملائهم في الجامعة بسبب الخلاف الفكري يمثلون نمطًا خسيسًا «للمكارثية»، ويعبرون عن فكر متخلف جامد سقطت جذوره في بلاد المنبع والمنشأ قبل سنوات.

ومن ثم فإن الإشادة باستئصال آلاف من المدرسين قبل فترة وإبعادهم عن التدريس، ثم الدعوة إلى استئصال أساتذة الجامعة المخالفين على غرار من سبقوهم، تمثل عملاً إجراميًا وانحطاطًا خلقيًا وانحداراً جامعيًا لا تستره دعاوى مكافحة الإرهاب والإسلام السياسى، لسبب بسيط، وهو أن أجهزة السلطة تعلم جيداً من هو الإرهابى كما تعلم من هو الوصولى.

وظيفة الأستاذ الجامعى أن يتفرغ للبحث العلمى المحايد النزيه، يصحح ويصوب وفق مايملك من أدلة وبراهين، لا أن يقوم بدور المخبر الذى يرتدى بالطو أصفر ويمسك عصا خيرزان وجريدة مطوية تحت إبطه ويتابع الآخرين ليقدم عنهم تقارير مؤثمة.

وإذا بلغ الأستاذ الجامعى مرحلة التقاعد وصار أستاذاً متفرغًا فإن من أوجب الواجبات أن يكون قدوة لغيره بالترفع عن الفحش والعفة فى التعبير والالتزام فى السلوك والإخلاص فى المنهج، والسعى إلى خدمة الأمة بعلمه وجهده، بيد أن البعض يصر على الخروج من دائرة «العدول» إلى دائرة «المجروحين» وذلك بالهبوط والإسفاف والبحث عن عرض الدنيا

والجرى وراء المكاسب الرخيصة من مناصب ومنافع ولو كانت على حساب القيم الخلقية والعلمية جميعًا.

من المحزن أن نرى نماذج لبعض الأساتذة المتفرغين يقفون مواقف متناقضة ولايخجلون من أنفسهم، لقد ثار بعضهم يوم اعترض زملاء لهم على ترقية أستاذ جامعى ماركسى لأنه فسر القرآن الكريم تفسيراً ماركسيا ووصف القرآن بأنه منتج ثقافى، أى من صنع محمد ﷺ، ثم اتهم الأستاذ الماركسى الإمام الشافعى بأنه عميل للدولة الأموية علماً أن الدولة الأموية قد سقطت قبل أن يتزوج والد الشافعى أمه، كما كتب الأستاذ الماركسى كلامًا خطيرًا فى شئون الإسلام والمسلمين، مما فصله المعنيون فى حينه، وكانت ثورة البعض من أجل حرية البحث العلمى ورفض المصادرة وحق الأستاذ الماركسى فى إعلان رأيه ولو كان مخالفًا للدين والشريعة وضد الثوابت ومالايحتمل الاجتهاد.. واليوم يثور هذا البعض مرة أخرى ولكن فى اتجاه مضاد هو تجريم باحث رأى رأيا فى التاريخ أو القضايا التى تحتمل الأخذ والرد، ولايكتفى بذلك، بل يطالب وزير التعليم باستئصاله واستئصال آخرين، لأنهم فى زعمه يخضعون تفسير التاريخ لاتجاههم السياسى ! ياله من تناقض صارخ ورخيص فى آن! هل يستطيع أحد تفسير هذا التناقض الصارخ والرخيص؟ يدافع عمن يطعن فى القرآن الكريم ويصفه بالمنتج الثقافى، ويحرم على آخر تفسير التاريخ بغير ما يهوى!.

إن من يتهم زملاءه الجامعيين بالجهل وتخريب العقول وتزييف الضمير

الوطني والسعي للانتصار على إرادة الشعب المصري، لأنهم رأوا غير ما يجب أن تراه السلطة أو من بيدهم منافع له، يخرج من دائرة الأستاذ الجامعي إلى دائرة أخرى لا أسميها، فما كانت السلطة هي صاحبة القرار في نتائج البحث العلمي، ولا كان من بيدهم المنافع أصحاب قرار في توجيه الدراسات العلمية وفرض مسارها.

ومن عجب ما يقوله المجروحون في حياتنا العلمية عن زملائهم أنهم أجهل الناس بالتاريخ والكتابة العلمية التاريخية، فاستخدام «أفعل التفضيل» في مجال العلوم الإنسانية يمثل حالة من الانحراف العلمي- في أغلب الأحيان- لأنه يعبر عن حكم عام والحكم العام في هذه العلوم يقود إلى نتائج خطيرة غالباً.

ولا أدري بأي حق يسمح أستاذ جامعي لنفسه أن يصم غيره بالجهل لأنه خالفه الرأي؟ إن المخالفة أمر طبيعي منذ فجر التاريخ، بل إن الإيمان بالله سبحانه وتعالى لاتجمع عليه البشرية، فهناك ملحدون وكافرون وزنادقة ولاأدريون ووجوديون ودهريون.. فكيف نحرم الاختلاف بين العلماء والباحثين؟ ثم أليست الحياة السياسية التي يتجادل المجروحون بشأنها تقوم على التعددية كما يقولون، أي تعدد الآراء والاتجاهات التي يعتقد أصحابها جميعاً أنهم على صواب؟ ثم إن التاريخ نفسه يخضع لتفسيرات متعددة ينطلق أصحابها من منطلقات متباينة ودور البحث الموضوعي هو التمحيص والتدقيق والترجيح. أما المبادرة إلى وصم المخالفين بالجهل فهي من سوء الأدب الذي لايقره عالم حقيقي يتغيا الحق والحقيقة.

ولا أدرى بأى حق يسمح أستاذ جامعى لنفسه أن يحتكر وحده شرف معرفة التاريخ وكتابته كتابة علمية؟ إن معرفة التاريخ حق للناس جميعاً، ولأساتذة الجامعة على وجه الخصوص، لاسيما الذين يتعاملون مع العلوم الإنسانية، بل إنه يصبح فرضاً واجباً على نقاد الأدب الذين أشرف بالانتماء إليهم.. ولعل ذلك المحتكر لشرف التاريخ معرفة وكتابة، سمع عن شيء اسمه المنهج التاريخي فى نقد الأدب وشيء اسمه تاريخ الأدب وشيء اسمه العلاقة بين التاريخ والأدب.. صحيح أن الناقد لايتفرغ لكتابة التاريخ ولكنه بالتأكيد يعرف كيف يمحص قضية تاريخية تتعلق بدراسته وموضوعه، ويستطيع أن يصل إلى حكم علمى موضوعى.

لو أن بعض المجروحين من كتاب التاريخ تواضعوا قليلاً، وقللوا من الانتفاخ الكاذب والانتفاش الخادع، وكفوا عن ترديد جملة «أنا كمؤرخ» أو «أنا كباحث تاريخى» أو «أنا». فى كتاباتهم، لاقتربوا من الموضوعية، ولو أنهم التزموا الصدق فى عرض أفكار مخالفيهم وتخلوا عن عاداتهم القبيحة فى ابتسار المنقول وتابوا عن منهج «فويل للمصلين» لاكتسبوا احترام الناس، وللأسف فإن الإحساس المتضخم بالذات، مع تشويه الحقائق وتشويه الآخرين، ينفى عن هؤلاء المجروحين صفة المؤرخ الثقة العدل الذى يصدقه الناس ويركنون إليه.

إن أقل مدرس جامعى يعلم ما هو المنهج العلمى لكتابة البحث سواء كان فى التاريخ أو فى غيره من العلوم، وهناك مادة أساسية فى الدراسات العليا يسمع عنها المجروحون، اسمها «مناهج بحث» ومن ثم فإن سب

أستاذ جامعى بالجهل بالكتابة العلمية يمثل إسفافًا خطيرًا لا نقدم عنه بلاغًا لوزير التعليم ولا لأجهزة الأمن، ولكنه نعرضه على الجمهور لأنه صاحب المصلحة الأولى والأخيرة وحكمه دائمًا يصب فى دائرة العدل.

يرانى القارئ لم أعالج أيًا من القضايا التى طرحها الصديق الصحفى تعليقًا على ما كتبت، ولم أشر إلى شيء من الخلط الذى صنعه بعض المتربصين من «المجروحين» فقد شغلنى «البلاغ الكيدى» الرخيص عما عداه، خاصة أنه أفسد «الحوار فى الهواء الطلق» كما لم يتحقق الحوار الصحفى الخلاق الذى دعوت إليه.. وأستأذن القارئ فى إغلاق الموضوع بأكمله، لأن شاغلى منذ الآن سيكون -بإذنه تعالى وعونه- هو تقديم نموذج من هؤلاء «المجروحين» الذين يتوفرون على خدمة السلطة وكل سلطة، إلى جمهور الأمة عبر عمل علمى موثق.

﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٧].. والله غالب على أمره.

أحمد أبو الفتح . . الرأى الحر

أول معرفتى بجريدة « المصرى » ذات العلم الأخضر الجميل كانت فى أواخر عمرها، وأوائل وعيى بالحياة من حولى، كنت طفلاً ريفيا يلتف مع الناس حول عم « محمود جمعة » الذى يقرأ الجريدة والناس يستمعون إليه، وهو يزف إليهم الأنباء المحلية والعالمية، وخاصة ما يتعلق بالملك والأحزاب وأخبار القطن . .

لم أكن أعرف أيامها شيئاً عن « أحمد أبو الفتح » ولا آله، الذين كان لهم حضور قوي فى الصحافة والسياسة، حتى كرت الأيام وكانت الأنباء تأتى عبر إذاعتى العدو اليهودى فى فلسطين وهنا لندن، عن تنظيم « مصر الحرة » أو إذاعة « مصر الحرة » . . وبعد حرب رمضان عاد « أحمد أبو الفتح » إلى مصر وعاد أيضاً « على أمين » ثم خرج « مصطفى أمين » من بطن الظلمات، وبدأ عصر جديد من الكتابة فى الصحافة المصرية، يختلف عن العصر السابق الذى تميز بكاتب واحد، يردد الآخرون مايقوله أو يعلقون عليه . .

كانت كتابات « أحمد أبو الفتح » تتميز بالوضوح وتسمية الأشياء بأسمائها مع البساطة فى التعبير . . . مع التركيز على قضايا الحرية والشورى وحقوق العباد . . وكانت « أخبار اليوم » الميدان الذى يصول فيه الرجل ويجول، ولكنه فجأة ابتعد أو أُبعد عن صحف السلطة المسماة بالقومية، وظهرت مقالاته فى « الوفد » ثم استكتبته جريدة « الشرق

الأوسط» التى تصدر فى لندن ليتناول فيها قضايا الأمة والعالم من منظور وطنى قومى إسلامى ناضج.

كنت أتابع ما يكتبه الرجل بإعجاب، وأقرأ شخصيته من خلال مقالاته، وكان قد أصدر كتابًا لم أتمكن من الحصول عليه بسبب الغربة، وفى كتاباته وجدت أمامى رجلاً جادًا حساسًا يرفض الظلم والقمع والكبت وينحاز للعدل والحرية والانطلاق، لم يتناقض فى كتاباته، فلم يؤيد الشيء ونقيضه كما يفعل بعض معدومى الضمائر ممن جعلوا النفاق وسيلتهم للصعود والتسلق، ولم يلوث حروفه بمداهنة الاستبداد والطغيان، ولم يتوضأ قلمه بماء الخداع والمكر وعداء الإسلام.. ولكنه قدم نموذجًا يحترمه الخصوم قبل المؤيدين حين عاد من منفاه الطويل مصرًا على مبادئه وأخلاقه، وقيمه ومثله، ورافضًا المجاملة على حساب الحق والضمير.. وكان البعض يتوقع أن يكون الرجل أسيرًا لجميل من أعاده إلى الوطن، فيتغاضى عن الشمولية المقنعة والديمقراطية المزيفة والفساد المستشري.. ولكن الرجل فاجأ الجميع بإصراره على رفض كل ذلك والاستمرار فى دعوته إلى الحرية الحقيقية والديمقراطية الصادقة والطهارة النبيلة، مما ظهر أثره فى حرمانه من الكتابة فى صحف السلطة ومجلاتها.

ولايستطيع أحد أن يزعم أن الرجل يرفض لمجرد الرفض، أو لإثبات حالة! ولكنه لايتأخر عن الإشادة بكل بادرة طيبة تصدر عن السلطة هنا وهناك.. وتلك آية الرأى الحر النزيه المهذب الذى يتجاوب معه الناس ويحترمه الجميع..

وللأسف فإننى حتى الآن لم أتعرف على الرجل شخصياً، وكان كلانا يرغب أن نلتقى فى القاهرة، ولكن ما أدراك ما القاهرة بالنسبة لريفى مثلى يكره الزحام وإشارات المرور الصعبة، والغبار المتصاعد إلى عنان السماء؟، إن ذهابى إلى القاهرة عذاب لا أحتمله فى ظروفى الحالية.. وكنت فى الغربة قد كتبت إلى الرجل رسالة على عنوانه بالوفد ضمنتها صورة لما كتبه صديقى الأديب الكبير «عبد السلام العجيلى» حوله وحول أخيه «محمود أبو الفتح» ورد الرجل برسالة رقيقة مهذبة، مازلت أحتفظ بها..

كان الدكتور العجيلى، ويعدونه «نجيب محفوظ» سورية فى مجال الرواية وهو طبيب يعمل فى قريته النائية «الرقة» التى تقع شرق سورية، وتولى الوزارة فى أوائل الستينيات، ثم عاد إلى قريته وعيادته وقلمه، قد سجل فى كتابه «محطات فى الحياة» بعض الموضوعات، منها موضوع طريف عن الشعر وأثره فى تهدئة النفوس الثائرة والأحزان الغائرة، وأشار إلى زيارة قام بها إلى آل «أبو الفتح» فى باريس عام ١٩٥٤م أو ١٩٥٣م، وكانت الثورة قد استولت على جريدة «المصرى» وصادرت ممتلكات أصحابها، وقامت بإبعادهم عن الوطن، ويصف الدكتور العجيلى لقاءه بمحمود أبو الفتح وشقيقه أحمد، فيقول: إن الأول كان دافئ اللسان لم يتلفظ بكلمة جارحة أو يتوجه بانتقاد لاذع لرجالات الحكم فى وطنه ولا لطريقة حكمهم فيه.. ولكن أقواله المهذبة كانت تخفى وراءها كمداً وأسى عميقين، ولا غرو فإن مبلغ ما استولت عليه الدولة من الورق المعد

للطباعة من المخازن كان يقدر فى حينه بمليون جنيه.. يقول العجيلى: إننى تمثلت عفواً بما قاله الشاعر القديم:

رأينا حوشباً قد بات يبنى
بيوتاً نفعها لبنى نُفَيلة

يؤمل أن يعمر عمر نوح
وأمر الله يحدث كل ليله

وقد تأثر محمود أبو الفتح بالبيتين وعاد إلى كلامه أكثر تبسطًا وأقل تحفظًا، وطلب من شقيقه أحمد أن يسجلهما لأنهما فرجا ضيقه وهدآ أعصابه، وقد صدقت نبوءة الشاعر القديم، فقد ذهب حوشب وذهبت بيوته وحدث أمر الله وتغيرت الدنيا، ولا يصح فى النهاية إلا الصحيح.

لقد رأيت أن أسجل كلمة تحية لقلم حر فى زمن غامت فيه الرؤية واختلط الحابل بالنابل، وصعد بعض الأفاقين من تجار الكلمة إلى الصدارة.. فلا أقل أن نشد على يد الرجل ونسمعه رأينا فيه وهو حى - أطال الله عمره- ونقول للأجيال الجديدة: لا تيأسوا.. فمصر عامرة بالشرفاء.. واسلمى يا مصر.

الأم الطيبة.. والمدرسة القرآنية

فى عام ١٩٦٨م، لقيت «بنت الشاطىء» لأول وآخر مرة، كان اللقاء فى دار الأدباء بشارع قصر العينى، حيث اجتمع أدباء مصر البارزون فى ذلك الحين ليحتفوا بالشاعرة الكبيرة «نازك الملائكة» - شفاها الله- وكانت بنت الشاطىء يومئذ فى أوج نشاطها ونضارتها، ليلتها حدثتنى حديث أم رءوم تحتفى بابنها وتشجعه وتبث فيه الأمل والصلابة.. وفى مطلع العمر الجميل، قرأت كتبها الأدبية: قصصاً ونقداً وتجارب إنسانية، وتابعتها على صفحات «الأهرام» الأدبية ثم قرأت أحاديثها الرمضانية على مدى ثلاثين عاما أو يزيد وأحاديثها الأسبوعية أو «الخميسية» - تظهر كل خميس- فى السنوات الأخيرة، فرأيت فيها صورة النبع الثر الذى لايجف مهما تقادم مرور الزمن عليه، بل إنه يفيض باستمرار ويزداد فيضانه وخاصة فى المواسم وموسم رمضان بالذات.

ولا ريب أن «بنت الشاطىء» تمثل صورة إيجابية للمرأة التى ازدهرت بالإسلام وارتقت بقيمه وتعاليمه، وتجاوزت تلك الصورة التى يصنعها الاستلاب والتقليد والذوبان فى «الآخر»، إنها صورة الشخصية الأصيلة التى تعتز بدينها وقيمها وتراثها المضىء، وفى الوقت ذاته ترد على الذين لايرون فى الإسلام إلا «نخاساً» يبيع المرأة ويشتريها، ويقمعها بمقامع من حديد! لقد كانت زوجة صالحة وأمًا حنونًا وربة بيت طيبة، وأثبتت أن

قيادة المرأة لبيتها ورعايته لا تتناقض مع إبداعاتها وبحوثها ودروسها، كما تدعى بعض بنات الجيل الراهن.

لقد اختارت بنت الشاطىء أصعب ما فى الدرس والبحث والإبداع، وهو دراسة القرآن والحديث، فكانت كالمرابط على الحدود، يستعد دائماً لمجابهة الأعداء والطامعين، لايعبأ بالتكاليف ولايفكر فى الثمن الذى سيدفعه، وكانت تعبر عن ذلك غالبًا بالحديث عن «الموقع الفكرى» الذى تجب المرابطة حوله وحراسته والذود عنه، ولهذا كانت أحاديثها «الرمضانية» فى «الأهرام» تنطلق من «الموقع الفكرى» لتواجه ما يثار من شبهات حول الرسالة والرسول ﷺ، وما يجرى للأمة فى مختلف جوانب حياتها وتاريخها، وما يتطلبه مستقبلها.

كانت مقالاتها «المقاتلة» مشحونة بعواطفها الفياضة ومشاعرها الجياشة، ذودا عن عقيدة الأمة وتراثها وحضاراتها، وتنبيها للمؤامرات التى تحاك ضدها وضد مستقبلها، وإشارة إلى الخداع الذى يمارسه الأعداء المخضرمون البارعون فى تمرير خداعهم تحت شارات براقة وأعلام مموهة، فيستسلم أصحاب النوايا الحسنة والبضاعة القليلة والجهد المحدود.. ولعل معركتها الضارية ضد البهائية كانت من أروع جهادها فى هذا المجال فقد حاربت بضراوة حربًا ضروسًا ضد نحلة مزيفة تتخذ ستاراً لهدم الإسلام واستباحة المسلمين من قبل الصهيونية العالمية، وتتحدث عن «البهائية» فتقول: «إنها لا تشغلها من حيث هى نحلة فئة ضالة، بل من حيث أسستها الصهيونية العالمية لتكيد للإسلام وأمته، وأخطر ما فيها أنها لا

تبشر فينا بنحلتها صراحة فتأخذ الأمة حذرها بحدس الدفاع عن الذات، بل قصدت إلى أن تصوغ الفكر الإسلامى المعاصر صياغة بهائية يهودية لاعهد للتاريخ بمثلها، دهاء تمويه، وخبث ذرائع!

كان حديثها عن البهائية وصية للأمة لتأخذ حذرها، ولتنبه إلى عقدة الفرنجة وفتنة العصرية واختلاط المفاهيم، أخرج أبو بكر بن أبى شيبة فى مصنفه، عن الإمام على كرم الله وجهه، أنه ذكر الفتن وقال: والفتنة التى تموج كموج البحر وهى التى يصبح الناس فيها كالبهائم، أى لا عقول لها.

وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه، قال: «لاتضرك الفتنة ما عرفت دينك، إنما الفتنة إذا اشتبه عليك الحق والباطل».

وكانت بنت الشاطىء- رحمها الله- واعية لما يراد بالأمة وتخشى الفتنة، لذا ألحت على القضايا التى يشتبه فيها الحق والباطل وحررتها تحريراً أصيلاً اعتماداً على مرجعية القرآن الكريم والحديث الشريف وإجماع الأمة.

إن الإسلام راسخ فى ضمير كل مسلم مهما يبلغ جهله بالشريعة أو تفريطه فى تكاليفها- هكذا تقول بنت الشاطىء- فهيهات أن يخلعه، ولو امتصوا دماءه من عروقه.

والقرآن يتلى فينا صباح مساء، متفرداً بالجلالة والحرمة وبالسلطان والنفوذ على أبناء هذه الأمة الأميين والمتعلمين سواء، فلا يتصور أن يستبدل به أي مسلم كتاباً أعجم وألواحاً صدئة لسفيه أحمق يهذى بما

لايجوز على غير مفتون أو ساقط الوعى «قراءة فى وثائق البهائية، ص(٣٥٤)».

لاريب أن المدرسة القرآنية التى انتمت إليها «بنت الشاطئ» جعلتها يقظة الوعى أمام ما يجرى فى الساحة الفكرية والثقافية، أيضًا منحتها قدرة كبيرة على استخدام المنهج الدقيق فى التفسير البيانى للقرآن الكريم، وتحقيق ذخائر التراث وخاصة رسالة الغفران ومقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح (لاحظ التواضع العلمى فى مقدمة الطبعة الثانية للكتاب الأخير واعترافها بالتقصير فى المنهج عند الطبعة الأولى)، ثمّ إن بنت الشاطئ تعد من أفضل من قدم ترجمة جيدة لنساء النبىّ ﷺ، وأمه وبناته وبعض حفيداته (السيدة زينب، وسكينة بنت الحسين).. وما كان لبنت الشاطئ أن تنهض بذلك لولا الانتماء الأصيل إلى المدرسة القرآنية التى تربت فى ظلالها، وآمنت بها دون خجل من دعاوى العصرية أو التقدمية أو المدنية.. فكانت أكثر عصرية وتقدمية ومدنية من آخرين تعاملوا مع هذه المصطلحات تعاملاً سطحيًا ساذجًا.

لقد منحتها المدرسة القرآنية عمقًا إنسانيًا وعلميا جعلها بحق نموذجًا للمرأة المسلمة فى القرن العشرين، احترامًا للذات، وعطاءً للآخرين، وجهادًا لا يتوقف، وتراثًا لايضيع وإن رحلت صاحبته إلى عالم الخلود، وفارقت عالم البشر الفانين.

رحم الله بنت الشاطىء أو أميرة الصحراء، كما لقبها الملك عبد العزيز آل سعود، وعوضنا عنها خير العوض.

كتاب هيكل: الحقائق والأوهام

محمد حسنين هيكل كاتب محترف يملك الحرفة جيداً، ويستطيع أن يشدك إلى ما يكتب مهما كان الموضوع بعيداً عن اهتمامك، ومهما كانت مسافة الخلاف بينك وبينه، وأعترف مقدماً أن هناك مسافة واسعة بيننا، وإن كان ما يكتبه يهمنى على تعدد ألوانه وأغراضه، فقد نشأ جيلنا يطالع له فى أواخر الخمسينيات وطوال الستينيات ما يكتبه تعبيراً عن رؤية الرئيس السابق، يُعجب بأسلوبه ويحلم بتحقيق الأمانى والأحلام التى تتناثر عبر المقال الأسبوعى والوثائق الرسمية (الميثاق الوطنى– خطب الرئيس مثلا)، ولكن جيلنا التعس صحا على فجر يوم أسود، انهارت فيه الأحلام وتبخرت الأمانى، وجاء العدو اليهودى بالقوة والوقاحة ليربض على قناة السويس، ولم يبق حولنا إلا أشلاء وطن ممزق بجراح الهزيمة العسكرية وقسوة الديكتاتورية، وأنين المظلومين من ضحايا الاشتراكية الثورية، وتوحش الطبقة الحاكمة التى صعدت على أشلاء القيم الذبيحة والكرامة المستباحة وأموال الشعب المظلوم التى نهبتها بلا رحمة، واستثمرتها فى عصر الانفتاح!.

هيكل بالنسبة لجيلنا ليس مجرد كاتب، ولكنه رمز لعصر أهدر كل القيم الجميلة، وأسس لهذا الإهدار الذى استمر حتى يومنا.

دعك من المقولات التى تتحدث عن أبنية خرسانية ومشروعات أسمنتية وانتفاشات إنشائية يفاخر بها عباد الطغاة، فهذه كلها لا تساوى

آهة مظلوم وما أكثر المظلومين، وهيكل نفسه قضى شهراً وبعض شهر فى معتقل السادات، فلم يغفر له حتى الآن.

عندما يكتب الرمز تاريخنا الحديث حتى مرحلة الاستسلام فى أوسلو، فيجب أن نصغى إليه، لأننا نريد أن نستمع ونعرف.. وقد تحدث هيكل وكتب وكشف كثيراً من الأسرار التى تُصمى (أى تقتل بالسكتة القلبية) وخاصة فى الجزء الثالث من كتابه «المفاوضات السرية» وعنوان «سلام الأوهام: أوسلو- ماقبلها ومابعدها».

لا أستطيع فى هذا الحيز أن أقدم مضمون الكتاب بأجزائه الثلاثة، ولا أقدر على التعريف بمحتواه الضخم الذى يشمل حكاية أمة مقهورة قهراً مركباً على مدى قرنين من الزمان، قهرها الصليبيون الأشرار بجيوشهم الجرارة، وقهرها أبناؤها الذين حكموها بالحديد والنار والأكاذيب.. ما أريده أن أسجل بعض الملاحظات الموجزة، بعد أن شدنى هيكل طوال شهور لأطالع كتابه الملئ بالقنابل والألغام والمثير للأسى والأحزان، وليت الرجل- وهو قادر - يتفضل بطبعه فى ثوب شعبى رخيص لا يبغى من ورائه كسباً ليطالعه شعبنا العربى المظلوم، ويطلع على الحقائق ويعلم مدى الخديعة التى يضعه فيها نفر من أبنائه؛ جثموا على صدره طويلاً، وأوردوه التهلكة، وهو - فيما يبدو - صامت مطيع.

يعتمد الكتاب على وثائق ومعلومات فى غاية الأهمية تؤكد على حرفية هيكل وقدرته المهنية فى توظيف المعلومة النادرة والخبر غير المثير

لتقديم دلالة مهمة توضح الأحداث وتكشف عن مجرياتها ومصباتها، ثم يصل فى النهاية إلى خرافة اسمها السلام يروج لها البعض ، ووهم اسمه السلام يسقط فيه البعض الآخر.

مع أن هيكل يتميز بالحذر فيما يكتب بصفة عامة، إلا أنه فى بعض المواقف الحساسة يوظف «حرفته» فى تجاوز المحاذير دون أن يقع تحت طائلتها، وذلك بإطلاق الصياغة فى اتجاه هادئ وعفوى بحيث تبدو الأمور وكأنها طبيعية وأنه لا يستثير أحداً ولايحك لأحد على أنفه، وهذه ميزة فى عصر القبلية الجاهلية الراهن.

ينبغى أن نسجل أن «هيكل عبد الناصر» قد تغير الآن إلى حد كبير، ولعل ذلك بدا بوضوح منذ محاضرته الشهيرة فى معرض الكتاب الدولى بالقاهرة التى انحاز فيها إلى الشعب تاركاً «وسط العصا» للماضى بخيره وشره.. وإذا كان البعض يرى أن الانحياز للشعب فى الفترة الراهنة التى بلغ فيها هيكل سناً متقدمة أمر طبيعى ، فإن المغريات من حوله لايمكن إهمالها، وخاصة أن الرجل جمع بين السياسة والصحافة، ووصل فى يوم ما إلى الحد الذى كان يتباطأ فيه عن استقبال مسئول يعد «نائباً لرئيس الجمهورية».

إذا كان هيكل يسعى فى كتابه إلى التمرد على حالة الاستلاب التى فرضها اقترابه من الحكومات العسكرية، إلا أنه مازال - فيما يبدو- أسيراً لحالة أخرى من الاستلاب وهى التصور الغربى فى نظرته إلى الإسلام.. فعلى امتداد صفحات الكتاب بأجزائه الثلاثة يبدو الإسلام وكأنه حالة

شخصية تماثل المسيحية، كما يبدو- وهو الأخطر - سببا للمصائب والمشكلات التى حلت بالعرب والمسلمين، وليس العدوان اليهودى أو الاستعمارى! فهناك إلحاح من خلال المقولات والأحداث التى يسجلها هيكل على أن الحركة الإسلامية صناعة يهودية أو استعمارية، وفى الوقت ذاته - وهو المثير للتناقض- تظهر هذه الحركة بوصفها تهديداً للسلام المزعوم، ومصدراً للقلاقل فى أرجاء الوطن العربى دون أن يشير هيكل إلى سبب ما يجرى من فقدان الشعوب لحريتها وضياع كرامتها.

مع أن هيكل يصف العقيدة الدينية بأنها جلد الإنسان العارى ويسجل مسيرة الحركة الإسلامية بوصفها عنصر المقاومة الجاد والوحيد الذى يواجه الصلف اليهودى وذراعه الطويلة، إلا أنه مازال يطرح التصور الإسلامي فى إطار كنسى (الله والقيصر)، وهو ما يدعونا إلى التجرؤ ومطالبة هيكل بالتكرم وقراءة الإسلام فى مصادره الأولى وإعطائه بعض الاهتمام، لأنه سيكتشف عالمًا آخر، حاولت الحكومات العسكرية فى أرجاء الوطن العربى طمسه، بل استئصاله، وسيعلم حينئذ لحساب من كانت- ومازالت- عملية الطمس والاستئصال.

تبقى مع كل الملاحظات تحية واجبة على هذا الجهد الذى بذله هيكل ويستحق من أجله التقدير.. ويحتاج أيضًا إلى المزيد من المناقشة والتحليل.

استقالة بيبو : الاستثناء يثبت القاعدة !

كانت مفاجأة بكل المقاييس أن يقدم لاعب الكرة الشهير « محمود الخطيب » على تقديم استقالته من قيادة المنتخب القومى لكرة القدم فى مصر، وأن يقدم مع استقالته شيكًا بمبلغ ٨٧٥٢٠ (سبعة وثمانين ألفًا وخمسمائة وعشرين جنيهًا مصريًا) تقاضاها فى أربعة شهور نظير جهوده مع الفريق، وشرح ذلك بأنه لم يستطع أن يحقق ما طلب منه، وأن النتائج لم تكن مرضية، لذا فإنه يستقيل ويرد ما حصل عليه.

استقالة مسئول كبير مثل الخطيب عمل استثنائى ونادر، ولايقدم عليه إلا رجل استثنائى ونادر، وهو ما يتحقق فى الخطيب الذى عرف منذ كان لاعبًا ناشئًا بالتفوق فى الأخلاق والسلوك واللعب أيضًا، وكان مثالاً يحتذي لمن أراد أن يخدم وطنه فى مجال كرة القدم، ولم ينقل عنه أو حوله ما يشوش صورته أو يطفىء من وهجه.. وقد ازداد تألقًا بتقديم استقالته ومعها الشيك، وكسب شعبية عظيمة تتجاوز مشجعى كرة القدم من الأهلى والزمالك، إلى جمهور المصريين الذين لا علاقة لهم بالكرة- مثلى- وخاصة أهل الفكر والسياسة الذين يتوقون إلى استقالة أى مسئول يعجز عن تحقيق المهام الموكولة إليه، ويرد إلى الدولة ما تقاضاه ولم ينجز نظيره شيئًا.

وتفجر استقالة محمود الخطيب العديد من القضايا الخطيرة التى تتعلق بمنهج الدولة فى معالجة قضايا الناس ومتابعة شئونهم.

أولى هذه القضايا ذلك الإغداق الهائل على النشاط الكروى من أموال الشعب دون مقابل يذكر، فالأصل فى النشاط الرياضى أن يستوعب العدد الأعظم من الشباب لتنمية أجسامهم وعقولهم، وإبعادهم عن الأنشطة السلبية التى تؤدى بهم إلى ما يعوق مسيرة الوطن نحو التقدم والبناء الفعال.

إن الإنفاق الباذخ على مجموعات الموظفين الضخمة ومجموعات اللاعبين القليلة، ثم الحصاد المر أمام دول ناشئة لايعرف بعض المواطنين موقعها على الخريطة، يعنى أن الدولة تسرف لغاية أخرى غير بناء الشباب وتنميته، وهو ما يعنى تساؤلاً كبيراً بحجم المسافة التى تفصل القاهرة عن إثيوبيا أو ليبريا.. وأتصور أن الكثيرين يذكرون أن مصر فى النصف الأول من القرن العشرين كانت أكثر حضوراً رياضياً وثقافياً بل وسياسياً، مع قلة إمكاناتها، منها فى النصف الثانى من هذا القرن.. والسر فى ذلك أن الدولة لم تنفق أموالاً باهظة ولا غير باهظة على الكرة ولا الكرويين.. بل كانت المسألة شعبية فى البدء والختام.. فهل يمكن أن تعود هذه الأيام؟

ثانية هذه القضايا يتعلق بالقضية الأولى أيضاً، وهو تلك الهستيريا التى تصاحب النشاط الكروى على المستوى الشعبى، بحيث تتراجع القضايا القومية والوطنية إلى المؤخرة، حتى شئون لقمة العيش، لا تجد مساحة اهتمام بارزة فى تفكير الناس أمام المسألة الكروية وتفصيلاتها.. ففى الوقت الذى يمارس فيه اليهود والأمريكان إذلال العرب والمسلمين، كل بطريقته الخاصة، ويشتد الفساد فى أرجاء البلاد ويتوحش، وتقوم

الحكومة بتمثيلية الانتخابات المحلية وغيرها، وتئن الجامعات والمدارس من مشكلات لا حصر لها، وتفرض السلطة قوانينها الاستثنائية الممثلة فى حالة الطوارئ، وتحدث مشكلات أخرى عديدة وخطيرة تمس حياة المواطنين.. لا نجد اهتمامًا شعبيًا فعالاً يماثل الاهتمام بعودة « محمود الجوهرى » من سلطنة عمان، حيث تذهب الجماهير إلى مطار القاهرة الدولى وتحمله على الأعناق، وتطبق عليه وهو يدلى بتصريحات صحفية، ويبادر التليفزيون المصرى- الذى لايعرف المبادرة إلا نادرًا- لينقل للمصريين فى بيوتهم مشهد وصول الجوهرى، بل ينوه مرات عديدة قبل إذاعة الفيلم وفى أثنائه، عن بث المؤتمر الصحفى الذى عقده الجوهرى وهو بملابس السفر لم يزل.. وكأن الجوهرى حرر القدس العتيقة، وأعاد كرامة العرب والمسلمين التى ضيعها اليهود والأمريكان.

مع احترامنا للجوهرى الرجل والإنسان..

ثالثة هذه القضايا وترتبط بما سبق أيضًا، تتبلور فى سؤال: ماذا لو أنفقنا الميزانيات الباذخة للكرة والإعلام والثقافة فى مشروعات تستوعب شبابنا، وتؤمن لهم وظيفة وعملاً وبيتًا ومكانًا يلعبون فيه بحرية وانطلاق؟

مدرب الكرة السابق « كرول » كان يتقاضى عشرات الألوف من الدولارات، على سبيل المثال، ماذا لو أنفقناها فى استصلاح قرية صحراوية تستوعب عشرات من الشباب وأسرهم؟

ماذل لو اكتفينا بقناة تليفزيونية واحدة ومحطة إذاعية واحدة- كما

يفعل اليهود- ووفرنا ميزانيات ضخمة تنفق على عشر قنوات أو أكثر، والعائد صفر في كل الأحوال.. ثم تركنا المجال للأفراد كي يقدموا خدمة إعلامية حقيقية تليفزيونياً وإذاعياً؟ ألا نستطيع أن نقيم عشرات المصانع التي تهيئ لشبابنا فرصاً أفضل للعمل واللعب في آن واحد؟

ماذا لو ألغينا وزارة الثقافة ومهرجاناتها الفاسدة وندواتها الشكلية، ومجالسها الثقافية الملاكي، وحولنا ميزانيتها إلى بناء بيوت للشباب والفقراء وتخطيط للعشوائيات، ومد الصرف الصحي للمناطق المحرومة؟ إن وزارة الثقافة لم تنجب أديباً في قامة العقاد، ولا شاعراً في قامة شوقي، ولا رساماً في قامة محمود سعيد، ولا مثالاً في قامة مختار.. ولكنها أنجبت من نعف عن تسميتهم، فأفسدوا الثقافة والمثقفين.. وجعلوا بعض العنصريين الجاهليين يتطاولون على مصر وثقافتها!

لن تخسر الحكومة شيئاً إذا رفعت يدها عن الإسراف المرفوض، اللهم إلا إذ كانت تصر على بقاء الأهلي والزمالك والمنتخب القومي أحزاباً حقيقية بديلاً عن إنشاء حياة سياسية سليمة يتنافس فيها المصريون على بناء دولتهم والدفع بها إلى مصاف الأمم المبدعة والمنتجة.

أما أنت يا بيبو.. فقد فجرت فينا المواجع وقلبتها لأن من يرتقي منصباً يقبض عليه بيده وأسنانه، ولا يفرط فيه إلا بالموت أو الطرد.. وتبقى - يابيبو- استثناء يثبت القاعدة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الديمقراطية والناصرية!

الأستاذ «حمدى قنديل» مذيع ناصرى معروف، وهو وجه مريح ويملك طاقة تعبيرية وقدرة حوارية يشهد بهما الجميع، وقد رأيته فى صباى عند بداية البث التليفزيونى يقرأ أقوال الصحف- وكانت آنئذ متشابهة إلى حد التطابق- ويجعل منها مادة شهية للمشاهد الذى يتابعه، وقد استضاف مؤخراً فى برنامجه «رئيس التحرير» ثلاثة ضيوف يمثلون تيارات مختلفة للحديث عن نجيب محفوظ وجمال عبد الناصر، وأتاح الفرصة فى «ديمقراطية» ملحوظة ليدلى كل ضيف بوجهة نظره، والحكم - طبعاً- للجمهور الذى يشاهد ويستوعب. وقد تمنيت أن يقتدى الشباب الناصرى بالأستاذ «حمدى قنديل» وغيره من عقلاء الناصريين الذين تختلف معهم ولا يفسد ما بينك وبينهم من مودة وعلاقة، فالتنافس الفكرى فى ساحة ضيقة يفترض من الجميع أن يتلاقوا أكثر مما يتباعدون، وأن يتفقوا على القضايا الجوهرية أكثر مما يختلفون حول الأمور الهامشية.. فالوطن الذى خلفه جمال عبد الناصر- أو خالد الذكر كما يسميه صهرى العزيز- فريسة للاحتلال والاختلال والفقر والانهيار، يقتضى منا على اختلاف توجهاتنا وأفكارنا أن نحتشد لإنقاذه، وإعادته إلى الحياة الطبيعية التى لم يذق لها طعماً منذ ليلة الانقلاب العسكرى فى ٢٣ يوليو، مروراً بالهزيمة السوداء فى ١٩٦٧م، والاستسلام للعدو بمبادرة السادات فى ١٩٧٧م، إلى ما نعرفه الآن من

طوارئ وبطالة، وغلاء فاحش، وانهيار التعليم والثقافة، وازدياد التضخم، وأزمة المساكن والمواصلات وضياع الهوية، وفقدان الانتماء، ومحاولات استئصال الإسلام والعنف والعنف المضاد... إلخ!

ومن ثم فإن اندفاعات بعض الشباب الناصرى إلى الهبوط والإسفاف فى محاورة خصومهم مسألة مؤسفة بكل تأكيد، وهى تنفر أكثر مما تحبب، وتؤكد على فكرة «استبداد» الناصرية وامتدادها إلى الناصريين المعاصرين.. فضلاً عن خروجها على السياق العام للحوار الفكرى الموضوعى.

إن الديمقراطية وهى الهدف الذى لم يحققه انقلاب ناصر، تقتضى من الناصريين وبقية القوى أن يعملوا على تحقيقها الآن قبل الغد، لأنها آلية الحركة فى مجتمع طبيعى يقوم تقدمه على أساس الشورى والعدل والحرية والكرامة والتكافل والعلم والبحث والحوار الخلاق.. إن الناصرية الأولى أطاحت بالديمقراطية وقسمت الشعب إلى طبقات كثيرة ووضعت الطبقات المؤيدة لها- ولو كانت منافقة فاجرة- فى عداد الثوريين الحقيقيين! أما الطبقات المعارضة أو الصامتة- ولو كانت تقية زاهدة- فقد وضعتها فى جانب الثورة المضادة التى ينبغى استئصالها والقضاء عليها وحرمانها من الحقوق الإنسانية.. وسوف تكون كارثة بكل المقاييس أن يؤمن الشباب الناصرى بهذا المفهوم، ويصر عليه فى أيامنا النحسات! إن احتكار فريق من الشعب للسلطة والثورة والثروة وحرمان فريق آخر منها، يؤذن بل يدفع إلى خلل لايمكن السيطرة عليه لحظة الانفجار، أو يدفع

الأعداء إلى اجتياح الوطن ونهبه، والنتيجة فى الحالين دمار وخراب.. وهو ما عانيناه فى ١٩٦٧م، ومازالت آثاره باقية حتى الآن!

ومشكلة بعض الناصريين اليوم أنهم سلفيون أكثر من عبد الناصر نفسه، فهم يقولون إن الناصرية فوق الأحزاب والأشخاص! هل هى وحى نزل من السماء؟ هل هى قرآن كريم يؤسس دستوراً لعقيدة ومنهجاً لحياة ومجالاً لتشريع؟ بالتأكيد لم تكن ولن تكون، لأنها حركة بشرية لم يحالفها التوفيق فى معظم الخطوات.. أما الخطوات الباقية فيعزى نجاحها إلى «الشعب المعلم» أو الشعب المسكين- بالأحرى- الذى واجه القهر والهزائم بصبر أيوب، وبنى السد العالى بعرقه وماله ودموعه وأعطى للطغاة أكثر ما أعطوه.

لو كان عبد الناصر حيًا اليوم لصحح أخطاءه وراجعها، لأن التصحيح تعبير عن وعى صحيح بالحياة، وإدراك طبيعى لما ينبغى أن تكون عليه خطوات البشر، فهاهم الشيوعيون يراجعون أنفسهم، والرأسماليون يغيرون مناهجهم، والدنيا كلها تتغير باستمرار.. ويبدو أن السلفيين الناصريين لايدركون ذلك، ويصرون على العيش فى أوهام قديمة تجاوزها الزمان، ولن يحييها «الرائد موافى» ومدرسته «الرائد موافى يعرفه الناصريون القدامى» مهما كانت إمكاناته الدعائية والتبشيرية.

إن الوطن ينادى المخلصين من كل الاتجاهات لبناء مستقبله المأمول، ولن يكون ذلك إلا من خلال الاعتراف بالآخر أياً كان فكره أو معتقده أو لونه

أو اتجاهه.. ولن يتأتى ذلك إلا بديمقراطية حقيقية تؤصل لمقاصد الشريعة والعقيدة، وتتيح لكل الزهور أن تتفتح وتملأ الأفق بعبيرها وشذاها.

ولو آمن الناصريون بالديمقراطية وحق الفرقاء في الاختلاف معهم، فسوف يحققون إنجازًا كبيرًا يحسب لهم، أما الإصرار على التعصب السلفي للناصرية والفرز لقوى الشعب وطبقاته والإيمان بكتاب التقارير والجستابو.. فأمر ضد المنطق والتاريخ والحرية والديمقراطية.. ترى هل نفاجأ ذات يوم بـ«بروستريكا» ناصرية؟ ربما.. ورحم الله شيخ المعرة إذ يقول:

تقفون والفلك المسخر دائر   وتقدرون، فتضحك الأقدار

جمهورية الدعاية الناصرية!

من حق السيد صفوت الشريف أن يعبر عن نفسه وعن فكره طالما كان فى موقع المسئولية، ويملك هذه الأجهزة الضخمة التى تقوم بالدعاية وتنفق عليها الدولة من أموال الشعب المصرى، الذى يختلف معظمه بالضرورة مع فكره وتصوراته.. فهذه الأجهزة التى يملكها المصريون الفقراء والأغنياء يجب أن تعبر عنهم بالدرجة الأولى من خلال البدهيات النظرية والفرضيات العقلية.. ولكن لأن المصريين لايستطيعون الهيمنة على ما يملكون، ولايقدرون على تسييره وفق إرادتهم ورغبتهم، فمن حق المهيمن الحقيقى أن يفعل بما يهيمن عليه كيفما يشاء!.

وإذا كان القانون أو الدستور- لا أدرى تماما- يجعل الصحف التى تسمى قومية والإذاعات والقنوات التليفزيونية ملكًا للشعب من خلال مجلس الشورى الذى يقرر- على الورق طبعًا- منهج العمل فيها، فإن الهيمنة الحقيقية عليها من جانب وزارة الدعاية تعصف بوظيفة مجلس الشورى تمامًا ولا تبقى لها أثرًا ما.

ومن المفارقات أن السيد صفوت الشريف وزير الدعاية، لم يكتف بالهيمنة على الأجهزة المملوكة للدولة كى تعبر عنه وعن فكره، ولكنه هيمن بطريقة معنوية على بعض الصحف الأسبوعية والقبرصية التى تدافع عنه أحيانًا، وتصفى حساباته مع خصومه داخل مجلس الوزراء وخارجه فى أحيان أخرى..

وهكذا أتيح لسيادته وخاصة بعد شراء النايل سات، أن يعيد للأذهان وأمام الأبصار ذكريات الرئيس الأسبق جمال عبد الناصر، وأن يفرض على الناس فرضاً رؤية أفلام تمجده وتشيد به، وهى من الأفلام الممولة من فلوس الشعب المصرى عبر اتحاد الإذاعة والتليفزيون، فى الوقت الذى تسخر فيه الصحف التى يهيمن عليها من محاولات إنتاج فيلم عن الرئيس السابق « أنور السادات » وتشمت فى الممثل الذى يسعى إلى تمويله ولايجد مالاً أو دعماً! فى حين أن السادات هو الذى نقله من الظل إلى النور!

من حق صفوت الشريف أن يكون ناصريًا أو غير ناصرى، ومنْ حقه أن يظل وفيًا لمبادئ أستاذه « صلاح نصر » فى السيطرة والهيمنة على الناس بكل الأساليب المتاحة بدءاً من « كسر العين » حتى التعذيب فى السجون المظلمة، ومن حقه أن يقود من يشاء من الناس الذين يشايعونه، ويضعهم فى أماكن الصدارة الصحفية والإذاعية والدعائية والتليفزيونية، ولكنه فى الوقت ذاته يجب أن يتذكر أن كثيراً من الناس فى مصر لايؤمنون بفكره، ولا يشاطرونه تصوراته ولا يحبون جمهوريته الناصرية.

ولست الآن فى مجال التناول للحقبة الناصرية ومآسيها ومظالمها وهزائمها، ولكنى أخاطبه بوصفه مسئولاً يفترض فيه قانونًا أن يعبر عن إرادة عامة الشعب المصرى، وهذه الإرادة تتباين بالضرورة من حزب إلى حزب، ومن تيار إلى تيار، ومن فرد إلى آخر، ثم إنها تتنافى مع احتكار حزب واحد أو تيار واحد أو فرد واحد للتعبير عنها.

إن إعادة المصريين إلى جو المهاترات حول الناصرية والساداتية ليس

مقبولاً فى هذه الآونة، لأن الشعب عانى من الحكم العسكرى مايفوق طاقة الشعوب الأخرى، ودفع من الضرائب المادية والمعنوية مالايقدر على دفعه شعب آخر.. ومن حقه اليوم أن يضع أسسًا جديدة للتعايش الحقيقى والتنافس السلمى لخدمة البلاد ورفعتها!

كنت أتصور مثلاً أن يقوم السيد وزير الدعاية بعقد ندوة تليفزيونية لتقويم عملية تأميم قناة السويس تقويمًا علميًا حرًا نزيهًا، وكنت أتصور أن يعقد ندوة أخرى تتحدث عن مستقبل القناة فى ظل التخطيط اليهودى والإجرامى لإنشاء قناة منافسة بين أم الرشراش (التى يسمونها إيلات) والبحر المتوسط، وكنت أتصور أن يعقد ندوة ثالثة تتحدث عن سيناء وعمليات الانسحاب العسكرى أمام العدو والطريقة المثلى التى تجعل منها قبراً للمعتدى بدلاً من أن تكون وسيلة ضغط فى يده يضغط بها على رقابنا.

إن أجهزة الدعاية التى يملكها الشعب يجب أن تخدم قضايا الأمة عامة وليس قضايا الناصريين وحدهم، لأن ما يملكه الناس جميعًا فى الوطن يختلف عما يملكه الناصريون وحدهم.. فى جريدة الناصريين يجب أن أتوقع كل شىء، أما الجريدة القومية فأتوقع فيها ما يخص الوطن وحده.. وهكذا فإن وزير الدعاية ليس من حقه أن يشغل الناس بفكره الناصرى وعقيدته الاستخبارية، لأن مصر تتعدد فيها الأحزاب والتيارات والأفكار.. ومنهج الديمقراطية يؤكد ذلك.. وأزهى عصور الديمقراطية -كما يقال- يفترض ذلك.

وبعد هذا فإن فيلم «ناصر ٥٦» أساء لعبد الناصر إساءة بالغة، حين صوره ديكتاتوراً مستبداً، صاحب القول الفصل الذى يطيح بالآراء المخالفة كلها ولو أجمعت على معارضته، وحين وضعه فى صورة الشخص الوحيد الذى يعلم كل شىء ويعمل كل شىء، أما الآخرون فكانوا- كما قدمهم الفيلم- مجرد دمى متحركة، تخضع وتطيع فى ذلة وخنوع! أما اللمسات الإنسانية التى حاول أن يضفيها الفيلم على حياة ناصر فى داخل بيته ومع أسرته وسكرتيره الشخصى فلم تغير صورة المستبد غير العادل! «وهل يكون هناك مستبد عادل حقاً؟».

ترى هل يصر السيد الوزير على الدعاية للناصرية بأموال من لايحبون الناصرية؟

وهل يعرض فيلم «الكرنك» للفائز بجائزة نوبل كى تكتمل الصورة؟

اللحظة الفارقة!

المسافة بين الحياة والموت قصيرة جداً، لايمكن رصدها بأية وسيلة، ولا باختراع الدكتور «زويل» أو اكتشافه الذى يقسم الزمن فى الثانية الواحدة! وللأسف فإن كثيرين يتجاهلون هذه اللحظة، ولايدركها إلا قليلون تدفع بهم الظروف والأحداث إلى هذا الإدراك، رغماً عنهم فى الغالب، وقد شعرت الأيام الماضية هذه اللحظة بكل معانيها، حين دخلت غرفة العمليات لأستأصل المرارة بمعرفة الزميل الدكتور «مجدى الجندى» أستاذ الجراحة بطب طنطا.

والمرارة عضو صغير فى أحشاء البطن، ولكنه مهم وخطير إذا تعطلت قدرته أو شابه قصور أو دخله عنصر غريب، صار شرساً وعبئاً على صاحبه، وقد عانيت طوال السنوات الماضية من عذابه وآلامه حتى صرت أكره الطعام والشراب ومتع الحياة، لقد ضاعت الشهوة تماماً، كما أضاعت مرارة الواقع الاجتماعى شهوة الأمل لدى الناس!

وكان لابد من المواجهة بعد الاعتماد على الله، ودخلت إلى غرفة العمليات بإحساس من يذهب إلى مفارقة الحياة، جيش عرمرم من الأطباء المساعدين والمعاونين وهيئة التمريض ، يقودهم الدكتور مجدى، أنامونى على سرير العمليات، وأخذوا يتحدثون معى عن بعض الأمور فى الجامعة.. وجاءت اللحظة الفارقة، أو المسافة الفاصلة بين الحياة والموت.. فلم أدر بنفسى إلا بعد ثلاث ساعات تقريباً.. كنت فى أثناء دخولى

الغرفة المرعبة اقرأ آية الكرسى وأسترجع وأحوقل وأتشهد حتى سلمت نفسى.. وعندما أفقت رأيت كم هو هين أمر الدنيا التى يتصارع من أجلها البشر، فيدخلون فى حروب وعداوات ومنازعات لاتنتهى، فى الوقت الذى تنتهى فيه الحياة فى أقل من ثانية!

أول شىء نطقته بعد الإفاقة، الشهادة وسألت عن ابنى «محمد» الذى يرافقنى، وابنتى فاطمة، وقلت: هاتوا لى فاطمة؟ ضحك الطبيب ومن معه وتساءلوا: من فاطمة؟ قال لهم محمد: إنها أمه!، ثم ضحك وقال إنها أختى الصغيرة وأبى يعدها أمه!، وهى أمى بحق!، ويوم وُلدت قبل سنوات ورزقنا الله بها على غير توقع فى عصر الشيخوخة، كانت تشبه أمى- الحاجة حميدة- أم حلمى تماما، وهى تماثلها فى حمية القلب والنشاط وحب العمل وأشياء أخرى، أعادت إلىّ فاطمة وجه أمى الذى غاب قبل سنوات من مولدها وتركنى- يومها- يتيما بعد الأربعين! بمجىء فاطمة تجددت حياتى ورُدَّت إلىّ أمى الغالية. فأحسست بكرم إلهى لا أستطيع التعبير عنه..

آه من الإنسان ذلك الظالم المتجبر، لايعترف بضعف الآخرين، ولايلتمس لهم عذراً، ولكن حين يرقد على الفراش مريضا يدرك كم هو قليل الشأن، لا قيمة له إلا بقدر ما يبذل من جهد خير وأخلاق نبيلة وعواطف فياضة، لأنها جميعا تصب فى وعاء الخير والطاعة والتقوى، وللشيخ الشعراوى- رحمه الله- رأى جميل سمعته وهو يفسر بعض الآيات الكريمة ملخصه أن العافية لاتجعل صاحبها يشعر بأعضائه، فإن

مرض أحس بها، ولذا فإن الداء مسخر لخدمة الإنسان وتقويمه ورده إلى خالقه (هل هى مجرد مصادفة أن تكون غرفتى (٥٠٧)، تحت الغرفة التى كان فيها الشيخ الشعراوى مباشرة فى المستشفى نفسها كما قيل لى ؟)

لاريب أن الابتلاء طريق الترقية للنفس وتهذيبها وتصفية معدنها من الشوائب التى تصنعها صراعات الحياة، ومن لم يؤثر فيه الابتلاء فهو صخر جامد، طمس الله على قلبه وروحه، يحيا بمنطق المادة ويموت بمنطقها أيضًا، ولعل التصوير الإلهى لهؤلاء وأمثالهم بالحيوانات والأنعام تصوير غير مسبوق ﴿ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ [الفرقان: ٤٤]، فالأنعام تأكل وتشرب وتتناسل وتموت وتذهب دون أن تخلف أثرًا حضاريًا يعتد به الإنسان .. والبشر الذين لايتأثرون ولايتفاعلون مثلهم كمثل الأنعام ..

الإنسان سيرة وذكرى وأثر، ومن هنا تنبع قيمة التاريخ وفلسفة التاريخ أيضا!، ترانى استطردت وأطنبت، والقلم يستعصى على يدى، ولما أزل أعانى آلام الجراحة، والغرفة (٥٠٧)، تضمنى بحوائطها وأثاثها، جسدًا ضعيفًا واهنًا لايقدر على التحكم فى ذاته أو حركته .. ترى كم هى العافية نعمة لاتقدر بثمن ولا كنوز الأرض جميعًا؟ فاعتبروا يا أولى الألباب!

كنت قبيل أيام من إجراء الجراحة أشاهد بعض الصراعات بين بعض الناس، وتأخذ هذه الصراعات منحى عجيبًا، تضيع فيه قيم، وتداس فيه

مُثل، والقوم سائرون ومستمرون، وينتظرون: من يغلب من؟ ولكنهم لو رأوا تلك اللحظة الفارقة بين الحياة والموت، ما وقعوا فيما وقعوا، ولحلوا مشكلاتهم بهدوء وسكينة ورضا نفس وطيب خاطر.

أن تنتقل من الحياة إلى الموت وبالعكس، فتلك لعبة ليست هينة وليست بسيطة، إنها تجربة لعلاقة أكبر بين العبد وخالقه.. وتأكيد على أن البشر عبيد للخالق جل وعلا.. ولم يجرؤ أحد بعد.. حتى السادة من أصحاب القدرة على الاستنساخ؛ أن يقول إننا نحى ونميت! وهذا دليل على أن صاحب الملك لاشريك له، وهو صاحب الحول والطول سبحانه.. وأن القيامة حق، والآخرة حق، والجنة والنار حق.. وأن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون..

فى خلال ثلاث ساعات فقدت الوعى، لم أشعر بالزمن إطلاقا إلا لحظة الإفاقة.. لذا لن يكون غريبا أن يبعث المرء بعد ملايين السنين مرة أخرى وتسكنه الروح مرة أخرى..

اللهم لك الحمد على نعمائك وأفضالك.. واللهم يا خير مستجيب أوصلنا بك دائما، وتولنا فيمن توليت، وعافنا فيمن عافيت، وارزقنا القرب منك، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لايخافك ولايرحمنا يارب العالمين.

ومعذرة للقارئ الكريم الذى ابتعدت به عن قضاياه اليومية وانعطفت به إلى قضية كبرى لها إيقاع مزعج.. سلمه الله من كل سوء.

الوداع

بعد قرابة سبع سنوات قضيتها فى المملكة العربية السعودية، ذهبت إلى المدينة المنورة لأزورها زيارة وداع، المدينة لهـا فى قلبى ووجـدانى حضور خاص، فهى مهجر الرسول ﷺ، وهى رمز التحولات الكبرى فى العلاقات الإنسانية بين المسلمين وبعضهم، وبين المسلمين وغيرهم، وهى قبل ذلك وبعده مصدر إشعاع للباحثين عن اليقين، والساعين إلى النصر والراغبين فى دخول التاريخ.

المدينة تلك النقطة الصغيرة فى صفحة الجزيرة العربية، غيرت وجه الأرض حين جاءها النبى المضطهد ﷺ ومعه مجموعة قليلة من المسلمين تطاردهم قبائلهم فى مكة وتتوعدهم.. فصنعوا بقيادة نبيهم – عليه الصلاة والسلام– مجتمعاً جديداً مع أهل المدينة من الأوس والخزرج (الأنصار) وآخرين، كان عماد هذا المجتمع الإخاء والمساواة والعدل، والتضامن فى السراء والضراء.. وفى خلال عشر سنوات استطاع هذا المجتمع فى هذه النقطة الصغيرة، على صفحة الجزيرة العربية، أن يكون عاصمة لأقوى دولة فى المنطقة تتحول فى عهد الخلفاء الراشدين إلى عاصمة لأقوى دولة فى العالم بعد هزيمة أكبر دولتين آنئذ وهما الفرس والروم!

لم يكن هذا التفوق للمجتمع المدنى إلا بسبب الإيمان الخالص الذى

تغلغل فى القلوب والأعماق، وصنع رجالاً أحبوا الله قبل أى شىء آخر، فانتصروا على أنفسهم وعلى أعدائهم، وسجلوا أروع صفحات عرفها التاريخ فى التفانى والتضحية والإخلاص.

عندما أرى جبال المدينة الحمراء الداكنة من نافذة الطائرة قبل الهبوط يصعد «أحد» إلى ذاكرتى على الفور ومعه ثنيات الوداع وبدر والخندق وسقيفة بنى ساعدة، ولكننى ألمح من الصحابة رجلا من طراز فريد هو «أبو أيوب الأنصارى» - رضى الله عنه - آثره الرسول ﷺ، بحبه والسكنى فى بيته قرابة سبعة شهور، وامتاز وحده حين بركت «الناقة القصواء» أمام منزله دون غيره من منازل الأنصار، فكان ذلك إيذانًا ببدء عصر جديد فى حياة أبى أيوب، الذى أعطى الإسلام والمسلمين الكثير من الوفاء والإخلاص والجهاد والإصرار عليه.

أذكر ما رواه التاريخ ذات يوم عندما خرج الرسول ﷺ فى الهجير من شدة الجوع، فإذا به يلتقى بأبى بكر - رضى الله عنه - فيشكو إليه ما يشكو منه الرسول ﷺ، ويخرج عمر رضى الله عنه فى الوقت ذاته ليشكو الجوع أيضاً، فيتوجه بهم ﷺ إلى دار أبى أيوب، فيقوم على الفور أبو أيوب بذبح شاة ويطلب من أم أيوب أن تعجن وتوقد.. وعندما يقدم أبو أيوب الأجزاء التى تم نضجها إلى الرسول ﷺ، فإنه يأخذ بعضها ويطلب إرسالها إلى «فاطمة الزهراء» لأنها تعانى ما يعانى منه وصاحباه.. وكان أبو أيوب رمزاً لجهاد كبير وفتح عظيم.. لم يتخلف عن المواقع إلا

لضرورة.. وأصر وقد جاوز الثمانين أن يسافر مع جيش يزيد بن معاوية إلى القسطنطينية لفتحها، ومع أنه دفن على أسوارها وفقا لوصيته، فقد جاء بعده بعدة قرون «محمد الفاتح» من آل عثمان ليحقق حلم أبى أيوب، ويفتح القسطنطينية، وتصير عاصمة للخلافة العثمانية، وينقل رفاته إلى داخلها ويعده الفاتح الحقيقى لها.

المدينة طيبة وجوارها طيب، والساعات التى قضيتها فى الروضة الشريفة كانت حافلة بالرضا والسكينة وطوفان من المشاعر والخواطر.. وصلى الله وسلم على ساكنها الحبيب، ووداعًا!

كتب للمؤلف

١- مسلمون لا نخجل.
٢- حراس العقيدة.
٣- الحرب الصليبية العاشرة.
٤- العودة إلى الينابيع.
٥- الصلح الأسود .. رؤية إسلامية لمبادرة السادات والطريق إلى القدس.
٦- ثورة المساجد .. حجارة من سجيل.
٧- هتلر الشرق..
٨- جاهلية صدام وزلزال الخليج.
٩- أهل الفن وتجارة الغرائز.
١٠- النظام العسكرى فى الجزائر.
١١- حفنة سطور.. شهادة إسلامية على قضايا الأمة.
١٢- واسلمى يا مصر.
١٣- التنوير .. رؤية إسلامية.
١٤- ثقافة التبعية: المنهج، الخصائص، التطبيقات.
١٥- دفاعاً عن الإسلام والحرية.
١٦- الأقصى فى مواجهة أفيال أبرهة.
١٧- الغروب المستحيل: سيرة كاتب م.ع. عبد الله.
١٨- رائحة الحبيب (مجموعة قصصية).

١٩- الحب يأتى مصادفة (رواية).

٢٠- مدرسة البيان فى النثر الحديث.

٢١- موسم البحث عن هوية: دراسات فى الرواية والقصة.

٢٢- محمد ﷺ فى الشعر العربى الحديث.

٢٣- القصائد الإسلامية الطوال فى العصر الحديث.

٢٤- الرواية التاريخية فى أدبنا الحديث.

٢٥- الحداثة العربية: المصطلح والمفهوم.

٢٦- الورد والهالوك: شعراء السبعينيات فى مصر.

٢٧- لويس عوض: الأسطورة والحقيقة.

٢٨- الواقعية الإسلامية فى روايات نجيب الكيلانى.

٢٩- حوار مع الرواية المعاصرة فى مصر وسورية.

٣٠- الرواية الإسلامية المعاصرة.

٣١- الصحافة المهاجرة: رؤية إسلامية.

٣٢- الإسلام فى مواجهة الاستئصال.

(تحت الطبع)

١- الرؤية الإسلامية والرواية المعاصرة.

٢- فقه الحرية وثقافة الفن.

٣- كلمات من الجمر: رؤية إسلامية.

٤- دفتر أحوال المسلمين.

٥- تحرير الإسلام.

٦- ملامح ووجوه.

٧- شعراء معاصرون.

الفهرس

الموضوع | الصفحة

هذا الكتاب

يتضمن فصولاً قصيرة تعالج من خلال مناسبات معينة معالم استئصال الإسلام فى أوجه حياتنا المختلفة ، ويشير إلى ما يحاول الأعداء التاريخيون وأنصارهم من بنى جلدتنا ، إحلاله فى واقعنا العقدى والفكرى والثقافى والاقتصادى والاجتماعى والترفيهى ، ثم فرضه علينا بقوة الظروف التى أتاحت لهم صنع القرارات أو التأثير فى الأجيال الجديدة .

وسوف يجد القارئ الكريم تناولاً متشعباً يبدأ من الخطر اليهودى الذى يستأصل الإسلام فى فلسطين وما حولها بتهويد الأرض، واستلاب العقل ، حتى المحاولات الماكرة التى تسعى لتدمير التعليم فى مصر ، وتخريب الأزهر الشريف ، مروراً بالحرب الدامية التى يشعلها المتآمرون فى أرجاء العالم الإسلامى، فضلاً عن محاولات العلمانيين والمتنطعين لتشويه الفكرة الإسلامية وتحويلها إلى حالة دموية شائهة ضد الفطرة وضد الإنسان .

نسأل الله سبحانه أن يرفع البلاء عن أمتنا ، ويهدينا إلى طريق الرشد والصواب ، حتى نستعيد زمام المبادرة ، ويعيش المسلمون فى أمن ورخاء .

والله الهادى والموفق إلى سواء السبيل

الناشر

